جامعة إب
مجلة الباحث الجامعي

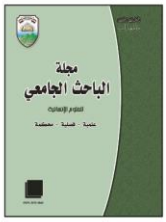

التحركات البريطانية الإستباقية لكبح الخطر العثماني في اليمن إبان اندلاع الحرب العالمية الأولى

صادق محمد الصفواني
قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة تعز، اليمن

ملخص البحث:

يهتم هذا البحث بدراسة التحركات العسكرية والاقتصادية والسياسية والدبلوماسية البريطانية الاستباقية لكبح الخطر العثماني في ولاية اليمن فور إعلان الدولة العثمانية دخولها الحرب العالمية الأولى إلى جانب دول المحور ضد دول الحلفاء؛ إذ إن الانجليز أدركوا مدى أهمية الموقع الاستراتيجي لليمن بإشرافه على مضيق باب المندب الذي يعد من أكثر مناطق التنافس بين الدول الاستعمارية، وما يمثله تمركز القوات العثمانية في اليمن على مجرى الحرب ومصالح دول الحلفاء في الشرق. ونظرا لتلك الأهمية سارعت بريطانيا بتحركات استباقية هدفت إلى إفشال أي استعدادات أو مخططات عثمانية-ألمانية لاستخدام الساحة اليمنية منطلقاً لتغيير مسار الحرب، فقامت بريطانيا خلال السبعة الأشهر الأولى لاندلاع الحرب بأربع خطوات، واستخدمت في كل خطوة عدة تحركات حتى تمكنت من حصار الحامية العثمانية داخل اليمن. وقد قسم البحث إلى مدخل وأربعة مباحث وخاتمة، وأفرد لكل خطوة مبحث. المبحث الأول بعنوان تحركات البحرية البريطانية ضد العثمانيين في اليمن، لتأمين الملاحة وخطوط الإمداد، وردود أفعال اليمنيين من العمليات البحرية خلال شهر نوفمبر وديسمبر 1914 م. أما المبحث الثاني فعنوانه تحركات البحرية البريطانية لفرض حصار اقتصادي وتجاري على اليمن، والعمل دبلوماسيا على جذب القوى المحلية لتحريضها على العثمانيين أثناء اندلاع الحرب. وجاء المبحث الثالث تحت عنوان التحركات السياسية والدبلوماسية البريطانية ونجاحها في عقد تحالفات مع قوى يمنية للقيام بالتمرد على العثمانيين. أما المبحث الرابع والأخير فهو بعنوان الاحتلال البريطاني للجزر اليمنية في البحر الأحمر وقصف موانئ تهامة لدعم الإدريسي لفرض حصار بري على العثمانيين داخل اليمن. وخلص البحث إلى خاتمة بمجموعة نتائج عن مدى نجاح خطوات التحركات البريطانية الاستباقية تلك حتى أصبحت أساسًا فرضت به حصارًا بحريًا وبريًا على القوات العثمانية داخل اليمن إلى حد إعاقة دعم الحامية ماليًا، وعسكريًا، وإضعاف اتصالها بالعاصمة العثمانية، كما أدت التحركات إلى كبح الخطر العثماني على مصالح الحلفاء في الشرق، وخلقت حالة من عدم الاستقرار داخل اليمن والمنطقة، استمرت أكثر من ثلاث سنوات حتى نهاية الحرب؛ رغم تفوق العثمانيين في البر.

مدخل:

أ- وضع اليمن قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى.

كانت اليمن قبيل الحرب مقسمة إلى جزأين، الجزء الأول في الجنوب تحت حكم الاستعمار البريطاني ويدار من مدينة عدن، والجزء الثاني في الشمال تحت الحكم العثماني ويدار من صنعاء، وقد وقعت اليمن تحت السيطرة البريطانية والعثمانية نتيجة التنافس الاستعماري في المنطقة إلى جانب وقوع اليمن ضمن المناطق الحيوية لذلك التنافس.

فقد كانت منطقة البحر الأحمر إحدى المناطق المتنافس عليها من قبل الدول الاستعمارية في العالم منذ حملة نابليون على مصر عام 1798م وازداد التنافس بعد فتح قناة السويس عام 1869م. وكانت منطقة جنوب الجزيرة العربية والقرن الإفريقي المطلتان على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر ضمن المناطق الأكثر تنافسا بين الدول

الاستعمارية قبيل الحرب، حيث قامت انجلترا باحتلال عدن عام 1839م[1]، ثم استولت على جزيرة موسى التابعة لوالي تاجورى في أغسطس1840م، وجزيرة أوباط التابعة لحاكم زيلع في3 سبتمبر من نفس العام وغيرها. وبالمقابل أشترت فرنسا ميناء أبوك (أبوخ) عام 1862م، القريب من باب المندب على الساحل الإفريقي من شيخ رهيطة[2]، بعد أن كانت قد وجدت لها موطئ قدم باحتلالها جزيرة "نوسي بي" القريبة من مدغشقر عام 1841م، ثم حاولت الوصول إلى جزيرة ميون(بريم)[3] اليمنية داخل مضيق باب المندب؛ لكنها اصطدمت مع مصالح بريطانيا فكانت لها بالمرصاد.[4] وكانت الدولة العثمانية قد عادت إلى المنطقة بناء على اتفاقية لندن عام 1840 م بعد انسحاب قوات محمد علي باشا من اليمن وجنوبي البحر الأحمر،[5] فكان المتصرف العثماني في اليمن يحكم ساحل جنوبي البحر الأحمر والقرن الإفريقي من ميناء المخا.[6] وفي مايو عام 1866م أصدر الباب العالي العثماني فرمانًا منح بموجبه والي مصر جميع ممتلكات الدولة على ساحل البحر الأحمر الإفريقي من السويس إلى باب المندب عدا منطقة زيلع،[7] التي ظلت تحت إدارة أحمد مختار باشا متصرف اليمن في المخا.[8]

وفي عام 1868م سمح العثمانيون في المخا للشركة الفرنسية(بارن ابوريمان) بإقامة مستودعٍ في منطقة "الشيخ سعيد"[9] اليمني الواقع شمال غرب باب المندب.[10] وقد لجأت الشركة الفرنسية لإقامة المستودع على الساحل اليمني- كما يبدو- لتزويد السفن الفرنسية بالفحم عند عبورها البحر الأحمر أثناء شق قناة السويس؛ ومع ذلك سرعان ما تعطل الامتياز الفرنسي على الساحل اليمني ولم يقم له قائمة بعد عام 1870م[11]، ولعل ذلك يرجع إلى استمرار الممانعة البريطانية.

وكان لفتح قناة السويس وتزايد أهمية البحر الأحمر أثر كبير في تشجيع إيطاليا على شراء منطقة عصب القريبة من زيلع من القبائل المحلية عام 1870م[12]، وبعد الاحتلال البريطاني لمصر عام 1882م تحولت الممتلكات المصرية في شرق إفريقيا للإنجليز بالوراثة، نتيجة لأسباب كثيرة منها[13] استمرار تفاقم التنافس بين الدول الاستعمارية في المنطقة، الذي جعل بريطانيا تقوم بإجراء استباقي مضاد من شأنه حصر الوجود الفرنسي بالساحل الصومالي بعيداً عن السواحل اليمنية،[14] فجنحت لتوقيع تسوية سياسية مع فرنسا وإيطاليا عام 1888م وتنازلت بموجبها عن بعض ممتلكاتها التي ورثتها من مصر لصالح فرنسا وإيطاليا، فمنحت فرنسا شمال الصومال والذي عرف بالصومال الفرنسي(بجيبوتي)[15]، ومنحت ايطاليا منطقة أسمرة (إريتريا).[16]

أما الدولة العثمانية فقد كانت تركت اليمن عام 1635م نتيجة لثورة اليمنيين بعد حكم دام حوالي قرن من الزمان؛ لكنها عادت نتيجة للأوضاع الجديدة التي تمثلت بانسحاب محمد علي باشا من اليمن عام1840م-كما أشير- ، وسيطرت على ساحل اليمن على البحر الأحمر ومن ثم حاولت التوغل والسيطرة على صنعاء عام1849م؛ لكن المحاولة فشلت فاضطرت للتراجع والتمركز في الساحل[17]. وبفتح قناة السويس وما شهدته شمال اليمن من اضطرابات نتيجةً لتمرد إقليم عسير وصراع الأئمة على السلطة توسعت الدولة العثمانية داخل اليمن وسيطرت على صنعاء عام 1872م، وجعلت شمال اليمن ولاية عثمانية مقسمة إلى أربعة متصرفيات (سناجق- ألوية) هي: صنعاء، تعز، الحديدة، عسير.[18] وبذلك أصبح الجزء الجنوبي لليمن يخضع للبريطانيين والجزء الشمالي يخضع للعثمانيين. وتدل المصادر على أن العثمانيين والانجليز كانوا أكثر انسجامًا في اليمن منذ المباحثات على الحدود عام 1905م حتى التوقيع على تقسيم بلاد اليمن بينهما في اتفاقية الحدود(الانجلو- تركية) في مطلع عام 1914م.[19]

ب- قيام الحرب العالمية الأولى ودخول الدولة العثمانية الحرب.

أصبحت اليمن بعد دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى حتما جزءًا من ساحة الصراع بين العثمانيين والبريطانيين؛ خاصة عندما بدأت تحركات الانجليز في المنطقة بأول عملياتها العسكرية البحرية ضد الزوارق والتحصينات البحرية العثمانية في الموانئ اليمنية في نوفمبر وديسمبر 1914م، التي جاءت - كما سيتضح- بأنها عمليات استباقية لمحاولة إفشال أي مخططات أو تحركات أو استعدادات للقوات العثمانية في اليمن، وكذا إجراءات

احترازية من أي هجوم بحري محتمل على السفن الانجليزية أو نشر ألغام بحرية، وكذا بداية لمحاولة تطهير البحر الأحمر وموانيه من أي تحركات يمكن للعثمانيين والألمان من السيطرة على قناة السويس وباب المندب[20]. لاسيما وان أول العمليات البحرية البريطانية ضد القوات العثمانية على الساحل اليمني بدأت مضطرة عند نقل البحرية الانجليزية قوات كبيرة من الهند عبر البحر الأحمر إلى مصر والجبهة في فرنسا[21].

وكانت الدولة العثمانية قد دخلت الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا والنمسا رسميا في 31 أكتوبر 1914م،[22] بينما كانت الحرب قد اندلعت في الأربعة الأيام الأولى لشهر أغسطس من نفس العام[23]. وتفوقت ألمانيا والنمسا والدولة العثمانية(دول المحور أو دول الوسط) في بداية الحرب على بريطانيا وفرنسا وروسيا(دول الحلفاء أو دول الوفاق)؛ إذ كان ميزان القوى في صالح الطرف الأول عددا وعدة، رغم قوة الأسطول البريطاني الذي يفوق الأسطول الألماني مرتين؛ لكن كان على الأسطول البريطاني مهام كثيرة وصعبة؛ إذ عليه أن يحرس السفن ناقلة الجيوش من انجلترا ومن مستعمراتها المترامية الأطراف إلى ميدان القتال، وعليه أن يحمي طرق الإمداد والسفن التجارية، وبنفس الوقت يقوم بالدفاع عن ساحل بريطانيا وفرنسا، ويقوم بمطاردة السفن الألمانية والنمساوية والعثمانية[24]، وكانت الدولة العثمانية قد عقدت معاهدة مع ألمانيا قبل عدة أشهر من اندلاع الحرب.[25] فكانت المصالح بين الدولتين كبيرة، منها حصول ألمانيا على إقامة مشاريع ضخمة مع الدولة العثمانية كإنشاء سكة حديد تصل أوربا بالولايات العثمانية (خط سكة حديد بغداد)[26].

وكانت مؤشرات دخول الدولة العثمانية في الحرب إلى جانب ألمانيا والنمسا قد بدأت تتكشف لدول التحالف قبل إعلان العثمانيين الحرب بشهور، ولم يتأكد الحلفاء إلا عند اكتشاف طرادين ألمانيين دخلا من البحر المتوسط إلى بحر مرمرة في مياه الدولة العثمانية؛ فعدوه دليل دعم لوجستي عثماني للألمان، بالرغم من تبرير الحكومة العثمانية بأن الطرادين هما عثمانيان اشترتهما من ألمانيا.[27] كما أثبتت الوثائق البريطانية أن حكومة الهند البريطانية والمقيم السياسي في عدن وبوقت مبكر من دخول العثمانيين الحرب قدما مقترحاتهما للندن بمهاجمة بعض المدن الساحلية اليمنية في البحر الأحمر الخاضعة للعثمانيين، مبررين ذلك بأنها خطوة استباقية لتأمين خط إمداد السفن الحربية القادمة من الهند إلى السويس[28]، سواء من خطر الطرادات الألمانية المكلفة بقطع طرق إمداد القوات البريطانية من الهند أو من القوات العثمانية التي أصبحت قبيل الحرب أكثر جاهزية وفعالية في تأمين ساحل الجزيرة العربية على البحر الأحمر من القراصنة والمهربين[29]. وكان الانجليز في عدن كما يبدو قد شعروا بتحركات عثمانية في شمال اليمن، وهو ما عزز من شكوكهم بأن العثمانيين يستعدون للدخول في الحرب؛ فقد ذكر أحد المؤرخين المعاصرين للأحداث بالقول: "وكنا قد شعرنا قبل ذلك بحركة غير اعتيادية في ولاية اليمن وأن عدداً من الضباط يصلون من جهة القسطنطينية إلى الحديدة ومعهم ذخائر كثيرة لليمن مما يدلل على أن العثمانيين ينوون الانضمام إلى صف ألمانيا في هذه الحرب"[30].

وذكرت بعض الدراسات أن الألمان سبق وأن تواجدوا في ولاية اليمن قبل اندلاع الحرب بسنوات ضمن علاقات التعاون مع العثمانيين، فأثبتت من خلال الوثائق العثمانية بأنه كان للألمان تطلعات في جزر فرسان منذ عام 1900- 1902م[31]، وأفاد بعض سياسي الانجليز المهتمين بشؤون اليمن حينئذ بأن هناك خطوات عثمانية في عام 1913م كانت تتجه لبيع ميناء المخا لألمانيا[32]، مؤكدين وجود عددٍ من الضباط الألمان كانوا يعملون في عسير قبيل اندلاع الحرب[33].

وعند دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا والنمسا، كان عدد قواتها في بداية الحرب قرابة نصف المليون جندي نظامي وربع مليون احتياطي تحت التدريب[34]، وكان من أهم عوامل دخول العثمانيين إلى جانب ألمانيا التالي:

1. انقلاب الاتحاديين 1913م[35] والمعجبين بالألمان.
2. طلب بعثة لتدريب الجيش العثماني.

3. تطور العلاقة بين الدولتين.
4. أطماع روسيا ورغبتها تفكيك تركة الرجل المريض.
5. اكتشاف أطماع فرنسا بطلبها منح سوريا استقلالها الذاتي وإطلاق يد فرنسا فيها[36].
6. معانات العثمانيين من انتهاكات الدول العظمى من دول الحلفاء للسيادة العثمانية باحتلال أجزاء من أراضيها في جنوب الجزيرة العربية والخليج ومصر والقرن الإفريقي والمغرب العربي،[37] لاسيما باحتلال ايطاليا لليبيا 1911م، واستقلال بلغاريا بمساعدة روسيا، واستقلال البوسنة والهرسك بمساعدة النمسا[38]، ناهيك عن التدخل في شؤونها ودعم الثورة في اليونان والبلقان.[39] وغير ذلك من الأسباب غير المباشرة.

ومن الملاحظ أن بعض المصادر قد أشارت بأن تحركات عثمانية في اليمن كانت قد سبقت دخولها الحرب العالمية بأشهر؛ مما جعل البعض يعتقد بأنها كانت مقدمات واستعدادات فعلية لاشتراك القوات العثمانية في اليمن في الحرب العالمية الأولى، منها: شراء العثمانيين للأسلحة والذخيرة من الفرنسيين في جيبوتي[40]، وإرسال إمدادات عسكرية كبيرة إلى اليمن منها وصول سفينتين حربيتين وانضمامهما إلى أربعة زوارق حربية كانت موجودة في اليمن من السابق[41]، بل إن الإمام يحيى تنبأ بأن العثمانيين سيدخلون الحرب، وربما جاء تنبؤه بذلك انعكاساً لشعوره بتحركات العثمانيين، لذلك دعا المسلمين إلى التصدي للغزاة[42]. كما إن الوثائق البريطانية أشارت إلى أن القوات العثمانية في شهر أغسطس وسبتمبر 1914م قامت بوضع تعزيزات عسكرية في منطقة "الشيخ سعيد" المطلة على جزيرة "بريم" وسط مضيق باب المندب[43]، وعلى الرغم من تلك الشكوك فإن نائب ملك بريطانيا في الهند[44] كان لا يفضل أي عمل عسكري في اليمن تخوفاً من ردود الفعل المحلية والعربية[45]؛ إذ أكدت تقارير بريطانية أن لندن منذ سبتمبر1914م كانت قد كلفت النائب في الهند بالتحرك لتطمين المسلمين ومقدساتهم وكسب ودهم، بهدف نفي ما تروجه ألمانيا ضد بريطانيا بوصفها عدوة العرب والمسلمين[46]، والنائب في الهند من جانبه بناء على توصية المقيم في عدن أوصى الإنجليز في لندن بالاتصال بزعامات مركز القوى العرب في الجزيرة كالإدريسي والإمام يحيى وغيرهما، والعمل على جذبهم والاعتراف بهم ودعمهم بهدف إثبات الوجود البريطاني[47].

ومع ذلك فإن التحركات العثمانية تلك لا تعني - كما يعتقد البعض - أنها استعداد من العثمانيين لدخول الحرب، لكن يبدو أنها كانت ردة فعلٍ للتحركات البريطانية في المنطقة وعلى رأسها الإعلان عن إنهاء السيادة العثمانية على مصر، وخلع الخديوي عباس الثاني من السلطنة، وتعيين السلطان حسن كامل بن الخديوي إسماعيل، ومن ثم إعلان الحماية البريطانية رسميا على مصر[48]، ومع تلك المؤشرات إلا أن الكثير من المؤرخين يعدون إعلان بريطانيا وفرنسا الحرب على الدولة العثمانية بعد قيام الأسطول العثماني بعمل عسكري ضد موانئ روسيا إحدى دول الحلفاء هو العامل المباشر لدخول العثمانيين الحرب. بينما يرى البعض أنٍّ دخول العثمانيين الحرب جاء نتيجة عقد معاهدة سرية بين البلدين للدفاع المشترك قبل عدة أشهر من اندلاع الحرب، وهذا ما ذكره طلعت باشا ضمن مذكراته مؤخرا[49].

وبعد عدة أيام من إعلان الدولة العثمانية دخولها الحرب أعلنت الجهاد والتصدي للغزاة واستثارة الشعوب الإسلامية ضد الاستعمار الانجليزي والفرنسي[50]، حيث أصدر السلطان رشاد وشيخ الإسلام فتوى بالدعوة إلى الجهاد في 7 نوفمبر 1914م، كما أصدر علماء الإسلام بياناً في 23 نوفمبر دعوا فيه المسلمين لنصرة الإسلام وحماية المقدسات، ونصرة ألمانيا والنمسا والمجر الدول المشتركة في الحرب مع الدولة العثمانية.[51] ومنذ دخول العثمانيين الحرب أدرك الجانب البريطاني والعثماني أن منطقة البحر الأحمر والجزيرة العربية أصبحتا مسرحا تنافسيا في المجال العسكري والدبلوماسي[52]. وكانت مسألة الدفاع الانجليزي عن قناة السويس عند ذلك مسألة غاية في الأهمية، وليس العكس كما يرى البعض على الأقل في المراحل الأولى من الحرب؛ وذلك لخطر تطلع الألمان في قطع الطريق الملاحي الواصل بين بريطانيا ومستعمراتها في الهند واستراليا، وعلى وجه الخصوص بعد أن

صدر قرار الدولة العثمانية بتعيين جمال باشا قائدًا للشام، وتكليفه بالزحف على مصر والسيطرة على قناة السويس[53].

وكانت الدولة العثمانية عند دخولها الحرب تفرض إدارتها على طول الشاطئ الشرقي للبحر الأحمر كله من ميناء "العقبة" في الشمال إلى "الشيخ سعيد" على باب المندب في الجنوب؛ باستثناء منطقة "عسير" والمخلاف السليماني[54] التي تخضع للإدريسي المتمرد على العثمانيين[55].

وقد كانت خطة القيادة العثمانية في ولاية اليمن والمنطقة في بادئ الأمر؛ هو القيام ببعض التحركات السياسية والعسكرية، وذلك بالدفع نحو قيام الثورات الإسلامية، وتشجيع حركات التحرر العربي في شرق إفريقيا (الصومال ودارفور)؛ لكي تقوم بحرب مضادة، هدفت من وراء الخطة قيام تعاون بين الثائر في الصومال الشيخ المهدي والحامية العثمانية في اليمن بالهجوم على البريطانيين في عدن والقرن الإفريقي، وبنفس الوقت التعاون مع القوات الألمانية الموجودة في "تنجانيقا"[56] في شرق إفريقيا لضرب القواعد البريطانية في "زنجبار"[57] و"كينيا"[58]، وبشكل متزامن مع قيام جمال باشا الحاكم العثماني في الشام بقيادة حملة على قناة السويس ومصر[59]. وكان من خطة الدولة العثمانية وألمانيا المتزامنة تلك- كما يبدو- طرد بريطانيا من عدن وباب المندب[60]، وقد يتطور الأمر إلى حصار الأسطول الانجليزي في البحر الأحمر، ومن ثم تصبح المصالح والمستعمرات الانجليزية والفرنسية في الشرق في خطر[61].

ومن الملاحظ أن ا لعثمانيين لم يكن لهم أسطول في البحر الأحمر عدا بعض السفن والزوارق الصغيرة وجيوش برية في فلسطين والحجاز واليمن[62]، على الرغم من طول ساحل غرب الجزيرة العربية، وذلك لأن البحر الأحمر أصبح شبه بحيرة إنجليزية منذ الاحتلال البريطاني لمصر عام 1882م[63] ويبدو هذا الأمر وراء لجوء العثمانيين والألمان لتطبيق فكرة إنشاء خط سكك حديد (اسطنبول - الحجاز- اليمن) قبيل اندلاع الحرب، وبالرغم من ذلك استمرت البحرية الانجليزية في الهيمنة على البحر الأحمر ومداخله، وزادت تلك الهيمنة عقب دخول العثمانيين الحرب العالمية الأولى؛ عندما أعلنت انجلترا احتلالها قناة السويس، ومنعت مرور السفن المدنية والحربية العثمانية والألمانية والنمساوية[64]. وبعد ذلك أصبحت السفن البحرية الانجليزية في البحر الأحمر تتلقى أوامرها من المعتمد السياسي في القاهرة، الذي قام في منتصف فبراير 1914م بتأسيس دوريتين في البحر الأحمر خلفا لمجموعة الطراد الأول؛ بحيث تتجول الدورية الأولى من السويس إلى جدة، والأخرى من جدة إلى عدن[65]، ليسهل حماية مداخل البحر الأحمر وتأمين الملاحة وخطوط الإمداد وتدمير السفن والزوارق العثمانية هناك، وبداية لفرض حصار بحري على البلدان العربية المطلة على البحر الأحمر الخاضعة للدولة العثمانية منها ولاية اليمن، بهدف كبح الخطر العثماني وإفشال الخطط الألمانية على المصالح البريطانية ودول الحلفاء في الشرق؛ وهذا ما ستتناوله الأربعة المباحث التالية:

المبحث الأول:

تحركات البحرية البريطانية ضد العثمانيين في اليمن، لتأمين الملاحة وخطوط الإمداد، وردود أفعال اليمنيين من العمليات البحرية خلال نوفمبر وديسمبر 1914م.

كان الهم الأكبر لحكومة الهند البريطانية في بومباي والمقيم السياسي في عدن[66] هو تأمين الطريق البحري من الهند إلى مصر منذ اندلاع الحرب العالمية الأولى لاسيما في البحر الأحمر. لذلك تقدما لنائب الملك البريطاني باقتراحات لتامين جنوبي البحر الأحمر عن طريق قصف الحاميات العثمانية في الجزر و الموانى اليمنية التي لا يسيطر عليها الشريف الإدريسي في المخلاف، فكان رد نائب الملك التحذيري واضحا من خطر القيام بأي عملية.[67] بل "كررت وزارة الهند بعد ذلك في 4 نوفمبر 1914م تحذيرها لإمارة البحر بألا تتخذ أي عمل عدواني ضد الموانئ أو الجزر التابعة لتركيا، طالما أن السياسة البريطانية تستهدف الحصول على تأييد العرب، وخاصة الإمام يحيى والإدريسي"[68].

وكانت بريطانيا تعلق الآمال في استمالة الإمام يحيى والشريف الإدريسي وجعلهما - من وقت مبكر- قنابل موقوتة لتفجيرها داخل

اليمن في وجه الدولة العثمانية في حال دخولها الحرب إلى جانب ألمانيا. فقد دلت بعض الوثائق البريطانية على أن الشريف الإدريسي كان قد اتصل بالمقيم السياسي في عدن في أغسطس 1914م، وعرض عليه عقد اتفاقية معه[69]. كما أشارت الرسائل السياسية السرية البريطانية في 24 أكتوبر 1914م إلى أنه كان على المقيم السياسي في عدن الاتصال بالإمام يحيى و "أن يفاتحه بشكل ودي، وأن يقدم المعاضدة الدبلوماسية البريطانية لمساعدته في تحقيق استقلاله عند نهاية الحرب"[70]. وكان المقيم في عدن قد راسل الإمام يحيى عن طريق سلطان لحج[71]. لذا كان من سياسة الحكومة البريطانية هو إصدار التحذيرات للبحرية البريطانية من أي عمل ضد الجزر والموانئ اليمنية قبل أن يتبين رد الإمام يحيى[72].

ورغم تلك التحذيرات كلها إلا إن ما حدث هو العكس؛ إذ قامت السفن الحربية البريطانية بعمليات مطاردة للزوارق الشراعية ومحاولة تفتيشها في الموانئ اليمنية، وكذا مهاجمة بعض الموانئ وقصفها خلافا للتوجيهات. وربما تندرج تلك الأعمال التي حاولت فيها التقارير الانجليزية تبريرها ضمن أعمال القرصنة لمحاولة السطو على الزوارق الشراعية والتجارية؛ لاسيما إذا قامت بعمليات دون توجيهات.

وفيما سيأتي يمكن استعراض تحركات البحرية البريطانية الاستباقية ضد القوات العثمانية المتمركزة في الموانئ والسواحل اليمنية لتأمين الملاحة وخطوط الإمداد في باب المندب وساحل البحر الأحمر فور إعلان العثمانيين دخولهم الحرب، وذلك بشيئ من التفصيل، لمحاولة اكتشاف العمليات المبررة وغير المبررة، وما أحدثته من ردود أفعال يمنية وانجليزية، معتمدين في الغالب على ما تضمنته الوثائق البريطانية.

أ- قصف البحرية البريطانية لتحصينات ميناء "ذباب"[73]:

يعد قصف البحرية الانجليزية للتحصينات العسكرية العثمانية في ميناء "ذباب" أولى العمليات العسكرية بين الجانبين في الساحة اليمنية؛ ففي الأيام الأولى وتحديدًا قبل 4 من شهر نوفمبر؛ أي قبل إعلان بريطانيا وفرنسا الحرب رسميا على الدولة العثمانية في 5 نوفمبر[74]. وبعد عدة أيام من إعلان الجانب العثماني الدخول في الحرب العالمية الأولى، حاولت السفينة الحربية الانجليزية "منتو" الإبحار في اتجاه ميناء "ذباب". ومن المنطقي أن تثير عملية إبحار سفينة حربية بريطانية حفيظة الجنود العثمانيين المرابطين، لاسيما عندما تمكنت السفينة "منتو" من الدخول إلى الميناء واقتربت من مكان رسو السفن ثم اتجهت نحو زورق شراعي بحسب ما أوردته الدراسة الوثائقية التي تناولها (بولدري) أحد الباحثين لوثائق البحرية البريطانية في البحر الأحمر[75]. على أن الدراسة لم تترك مبررا واضحا لقيام السفينة "منتو" للدخول إلى الميناء والاتجاه نحو الزورق الشراعي، بالرغم من التحذيرات التي أطلقها نائب الملك البريطاني وحكومة الهند من خطر قيام البحرية بأي عملية عدائية في الموانئ اليمنية[76] - كما سبقت الإشارة- ؛ إذاً فبأي مبرر دخلت السفينة الحربية الميناء؟ ولماذا قصدت الزورق عينه؟ فالذي يمكن ملاحظته من التقرير المقدم من إمارة البحر البريطانية لحكومة الهند هو أن قصد السفينة "منتو" من دخول الميناء كان بهدف تفتيش الزورق الشراعي.

كما أن رد فعل الحامية العثمانية المتحصنة في قلعة "ذباب" تجاه سفينة حربية انجليزية دخلت الميناء كان ردا طبيعيا نتيجة الوضع المتوتر تجاه البحرية البريطانية بعد إعلان العثمانيين دخول الحرب. ولا يستبعد أن تكون القيادة العثمانية في اليمن قد وجهت التحذيرات لقواتها في الساحل من قبل من مغبة سيطرة البحرية البريطانية أو الفرنسية على الموانئ والمواقع القريبة من باب المندب. لذلك قامت المدفعية العثمانية المتحصنة في قلعة ذباب بتوجيه طلقات تحذيرية نحو السفينة الحربية "منتو" التي ردت - بحسب التقرير- بقصفها الميناء بثماني عشرة قذيفة فأصابت الحصن والميناء بإصابات مباشرة[77].

ومهما يكن من أمرٍ فدخول السفينة إلى مينا ذباب ومحاولة تفتيش الزورق كان مخالفًا لما أطلقته السلطات السياسية من تعليمات. إذًا فما الذي جعل الإمارة البحرية تكتب مثل ذلك التقرير الذي يخالف تلك التعليمات؟ أم إن إمارة البحر لديها توجيهات أخرى تخول للسفن الحربية منع الزوارق حتى من الرسو في الموانئ اليمنية، لم تكشف عنها

الوثائق بعد؟ أما ما أبرزته دراسة(بولدري) من مبررات فنعتقد أن الأمر يندرج تحت العمل الاستفزازي أو القرصنة أو جس النبض أو أنها فعلا محاولة للسيطرة على الميناء، وهو ما سيتضح فيما يأتي عند انسحاب السفينة "منتو"من ميناء ذباب وتوجهها نحو ميناء الحديدة.

ب- قصف البحرية الانجليزية لزورق شراعي في مينا الحديدة:

في الرابع من نوفمبر 1914م اقتربت السفينة الحربية "منتو" من شواطئ الحديدة رافعة العلم العثماني، وعند وصولها الميناء؛ رفعت راية بيضاء، ثم أطلقت زورقًا بخاريًا، ربما استطاع الاقتراب من زورق عثماني كان راسيا، وتمكن من توجيه القصف عليه؛ مما أدى إلى اشتعال النيران في الزورق - بحسب المصادر البريطانية- بينما المصادر المحلية والعثمانية المتوفرة بين أيدينا لم تتطرق إلى هذه الحادثة والعملية السابقة التي حدثت في مرفأ "ذباب".

وفي الحقيقة كانت قد "رأت الإدارة السياسية لحكومة بومباي إعادة دراسة الاقتراح المقدم سابقًا حول ضرب الجزر والموانى اليمنية الواقعة تحت الحكم العثماني لتأمين الطريق البحري بين الهند ومصر منها ميناء الحديدة. لكن نائب الملك استمر في رفض المقترح، حيث ذكر في عدة برقيات في 7 نوفمبر أن فرض حصار بحري على الحديدة لقطع إمدادات الطعام التركية قد يكون أفضل من قصفها، على الأقل حتى يعرف موقف الإمام تجاه بريطانيا"[78].

وبالمقابل كانت السلطات العثمانية في اليمن قد بدأت بالتحرك كما يبدو دبلوماسيًا وعسكريًا؛ فور الإبلاغ عن دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى، ربما جاء التحرك كرد فعل لما تعرض له ميناء ذباب وميناء الحديدة من هجوم بحري، حيث وصف المؤرخ العبدلي تلك التحركات بشكل موجزٍ بالقول: "وفي الشهر المذكور (يقصد شهر دخول العثمانيين الحرب) بلغنا أن ضباطا من دائرة أركان الحرب مع بعض مشايخ اليمن طافوا الحدود، وأن والي ولاية اليمن أنفذ إلى جهة لحج من يستطلع الأخبار ويكشف الأحوال؛ وأنه اتفق (أي اجتمع الوالي) بالإمام يحيى للمذاكرة، وتم بينهما الاتفاق على ما يرام، وأن الإمام بذل مساعدته لحماية حدود ولاية اليمن، وأن الوالي أشار عليه بتقوية الشيخ سعيد"[79]. وبالمقابل عزز الانجليز علاقتهم بالسلطان علي بن أحمد بن علي العبدلي سلطان لحج وذلك بتكريمه عن طريق إطلاق إحدى عشرة طلقة مدفعية تحية له، ومنحه نيشان إمبراطورية الهند مع لقب السير تعبيرًا عن موقفه المبدئي تجاه الحكومة البريطانية[80].

وعلى الرغم من التحركات العثمانية عسكريًا وسياسيًا لاستمالة الإمام يحيى الذي مال فعلاً في بادئ الأمر واستمع كثيرًا للوالي العثماني، وبنفس الوقت تأخر رد الإمام على رسائل سلطان لحج كثيرًا، إلا إن الانجليز ظلوا ملتزمين بضبط النفس من حيث عدم استخدام القوة ضد العثمانيين في اليمن حتى يتبين موقف الإمام يحيى[81]. إلا إن طارئًا جعل السلطات البريطانية تصدر قرارًا استثنائيًا أمرت به البحرية البريطانية القيام بعملية ضد تحصينات الشيخ سعيد في باب المندب يوم 9-10 نوفمبر. فما الذي طرأ وكيف دارت العملية؟ وما هي انعكاسات العملية على السياسة الانجليزية تجاه اليمنيين والعرب؟ وكيف تصرف الانجليز حيال ما أفرزته الحادثة من نتائج؟ وهذا ما سيتبين في الفقرات الآتية.

جـ- أول عملية عسكرية انجليزية رسمية ضد التحصينات العثمانية في باب المندب لتأمين خطوط الإمداد:

يعد هجوم السفن البحرية البريطاني على منطقة الشيخ سعيد في باب المندب وإنزالها جنوداً إلى البر لتدمير التحصينات خلال يومي 9-10نوفمبر 1914م أول العمليات العسكرية الانجليزية المعلنة رسميا من الحكومة البريطانية ضد العثمانيين في اليمن أثناء الحرب العالمية الأولى، فقد جاءت العملية بشكل استثنائي بحسب التبريرات الانجليزية[82]، وذلك بتكليف رسمي من نائب الملك في 5 نوفمبر 1914م للبحرية البريطانية بقصف منطقة الشيخ سعيد على مدخل باب المندب وإنزال قوة إلى البر لتخريب التحصينات ومصادر المياه خلال 24 ساعة[83]، وكان السبب هو خشية قيام مدافع القوات العثمانية المحتشدة منذ بداية الحرب في منطقة الشيخ سعيد[84] بقصف جزيرة "بريم"[85] أو قيامها بقصف قافلة السفن المقلة للجيوش الانجليزية المنقولة من الهند إلى مصر والمطلوبة

بإلحاح لتعزيز جبهة الحرب في فرنسا[86].

وكان فوج كبير من السفن والمراكب الانجليزية مكون من ثمانٍ وثلاثين سفينة[87] قد غادر الهند في 2 نوفمبر 1914م وعلى ظهرها خمسة ألوية عسكرية تحرسها ثلاث سفن حربية، وعند اقترابها من عدن في 8 نوفمبر وافقت السلطات المحلية على العملية، وقامت بتوجيه الأوامر للكابتن هنري بلاكيت بالتحرك على ظهر الطراد "دوق آدبرة" المرافق للفوج والسفينة "سيتي أوف مانشستر" وثلاث كتائب من المشاة الهنود تحت قيادة "الجنرال ح.ف. كوكس" بالعملية لتأمين مضيق باب المندب من خطر القوات العثمانية المتمركزة في "الشيخ سعيد". فوصلت القوات المضيق عند فجر 9 نوفمبر، وربما وجدت هناك تربصاً عثمانياً كان في انتظار الفوج ليقوم بتوجيه نيران مدافعه لتدمير سفن الإمداد، فقد ذكرت التقارير الانجليزية إن نيران المدفعية العثمانية بدأت بقصف البحرية الانجليزية بمجرد توغلها في المضيق، عندها باشر الطراد "دوق آدبرة" بالرد على مصادر نيران المدفعية العثمانية المتمركزة في حصن "التربة"، بينما غطت مدفعية أخرى نزول جماعة من المشاة الانجليز إلى البر، وبالرغم من المقاومة الشديدة إلا إن المشاة تمكنوا من التقدم تحت غطاء قصف البحرية الذي استمر حتى أسكت المدفعية العثمانية من بعد ظهر نفس اليوم، بعدها باشر باقي جنود المشاة في النزول والتقدم إلى المنطقة المجاورة لحصن "التربة"، وعند الليل داهم الانجليز المواقع، فتم احتلال المرتفعات القريبة من الحصن، وحينئذ فر الجنود العثمانيون من مواقعهم نحو البر[88].

وفي اليوم التالي10نوفمبر تقدمت كتائب من اللواء 29 مشاه هندي، واللواء 23 من رواد السِيخ تساعدهما فرقة هدم من البحرية، بقيادة "الكابتن بلاكيت" قامت بدك حصن "التربة"[89] وحصن "المنهلي"[90]. ومنشآت أخرى؛ فأسفرت العملية العسكرية - بحسب المصادر البريطانية- عن مقتل أربعة جنود، وإصابة ستةَ عشر جنديًا بجراح بينهم ضابط من القوات البريطانية، وستة قتلى وثلاثة أسرى من القوات العثمانية وواحد من عرب اليمن، بينما تمكن ثلاثمائة جندي، ومائة من عرب اليمن من الفرار حاملين مدفعين جبليين[91]. كما ألحقت العملية دمارًا بتحصينات منطقة الشيخ سعيد وحصن "التربة" و"المنهلي"، وثكنات الحراسة، ودمرت مستودع الذخيرة، ومدفعين برونزيين عيار خمسة عشر سم من طراز "بل كوب" ألماني، ومدفعين ذوي قذائف أثني عشر رطلاً من طراز "بل كوب" يرجع تاريخ الصنع إلى عام 1870م، وثلاثة مدافع ميدان من طراز "ML" (إم- إل)، ومدفع عيار عشرة سم من طراز "بل كوب" ومجموعة كبيرة من القذائف والذخيرة[92]، كذا أقدمت الفرقة على تخريب منصات الاتصالات السلكية الرابطة بين اليمن وإفريقيا بهدف شل الاتصال بين العثمانيين في اليمن والألمان في تنجيقيا على شرق إفريقيا[93]، وبعد انتهاء الفرقة من العملية بنجاح قامت بنقل بعض العتاد وخط البرق وسجلاته إلى البحرية ليتم إيصالها إلى عدن[94]، كما أمر الجنرال "كوكس" بترك الفرقة 23 من الرواد السيخ في عدن، ليحلوا محل الحامية الصغيرة في جزيرة "بريم"[95]، وعندها سمح لسفن فوج المدد بالانطلاق من عدن باتجاه البحر الأحمر فعبرت مضيق باب المندب بنجاح[96].

- رد الفعل اليمني والعثماني من القصف الانجليزي لمنطقة الشيخ سعيد:

تباينت ردود أفعال الزعماء اليمنيين لتلك العمليات الانجليزية في الشيخ سعيد؛ فالسلطان علي بن أحمد العبدلي أيد العملية بعد أن لاحظ أنها وجهت ضد حشد وتحصينات القوات العثمانية فقط، ولم تمس القرى والآبار بأذى، بينما احتج شيخ الحجرية أحمد نعمان، وعدٌ الهجوم بأنه يهدف إلى التخلص من الإسلام[97]، بينما عبر الإمام يحيى عن غضبه من العملية[98]، وأما القائد العثماني في صنعاء "فقد نشر بيانا رسميا شرح فيه البواعث الخفية التي تضمرها بريطانيا العظمى، والنوايا المبيتة؛ وقال: إنها تميل إلى بسط سلطانها والى ضم بلاد الآخرين وإلحاقها بممتلكاتها". وبالمقابل أسرع الانجليز في عدن إلى مخاطبة الإمام يحيى بأن العملية التي قاموا بها كانت كضرورة حربية وأنها لا تهدف إلى

السيطرة، والدليل هو رحيل القوات الانجليزية من منطقة الشيخ سعيد عقب العملية مباشرة[99].

ونتيجة لردود الأفعال المحلية تلك وما سيحدثه بيان القيادة العثمانية من تهييج للشعب اليمني والعربي في الجزيرة ومصر، وما قامت به القيادة العثمانية من استعداد عسكري لعودة التمركز في منطقة الشيخ سعيد، قررت بريطانيا بعد دراسة مستفيضة أن تتلافى النتائج العكسية من ردود أفعال القادة العرب؛ فأصدر بيانًا يتودد العرب وضحت فيه "أن بريطانيا ليس لديها أي نية للقيام بأية عمليات عسكرية أو بحرية في الجزيرة إلا إذا كانت من أجل حماية المصالح العربية ضد العدوان التركي أو أي عدوان آخر". كما نشرت بيانًا في عدن في 23 نوفمبر 1914م بينت فيه سياستها المبدئية تجاه العرب والإسلام بعد ذلك، والذي نص على أن: "الحكومة البريطانية لا تضمر أي رغبة في توسيع حدود ممتلكاتها، وتشعر بثقة أن العرب لن يربطوا أنفسهم بالأتراك الأعداء الحقيقيين لتقدم العرب ورفاهيتهم ضد الانجليز الذين يحرصون على صون حقوق الإسلام ويحترمون الأماكن المقدسة"[100]، وربما كان هدف الانجليز من البيان هو إثبات عكس ما جاء في بيان القيادة العثمانية في اليمن، بل ويعد تحريضا واضحا ضد الحكم العثماني في البلاد العربية، الأمر الذي حدا بالقيادة العثمانية في اليمن أن ترد على البيانين بتهييج اليمنيين ودفعهم للمواجهة مع الانجليز لتأكيد وحدة وتلاحم الجبهة العربية - العثمانية، وللإثبات بأن سياسة إحداث شق بين القيادة العثمانية والزعماء العرب لم ولن تثمر، وتأكيدا لذلك تمكن العثمانيون من إفشال هدف الانجليز بحشد قوة كبيرة من القبائل اليمنية، وعادوا للتمركز في منطقة "الشيخ سعيد" مرة أخرى بعد أسبوعين من الحادثة وبتعزيزات مختلطة من العثمانيين واليمنيين[101].

يبدو أن التهديد العثماني في اليمن ضد الانجليز بعد هذا الحادث أصبح معلنا ومباشرا للملاحة وخطوط الإمداد في باب المندب والبحر الأحمر، مما جعل وزارة الخارجية البريطانية تناقش مع الإمارة البحرية -كرد فعل لكبح الخطر- إمكانية قيام قوة انجليزية باحتلال منطقة "الشيخ سعيد" ومدينة "الحديدة" وجزيرة "كمران" وجزر "فرسان"، غير أن المقيم في عدن ونائب الملك في بومباي تصدى لأي مقترحات تطالب باحتلال مواقع عثمانية في اليمن أو مدن أو جزر يمنية، حتى لا يعتقد العرب بأنه نقضٌ للعهد الذي ورد في البيان القائل بعدم رغبة بريطانيا في توسيع حدود ممتلكاتها، وحتى لا يستغل العثمانيون الأمر لتهييج اليمنيين ضدهم، لاسيما أن الانجليز لازالوا في انتظار ردٍ من الإمام يحيى على خطابهم، وأي احتلال قبل تسلم الرد من الإمام والإدريسي قد يسيء لهما ذلك التصرف؛ فيثير هجوماً عربياً[102]. عندها تخلى الانجليز عن أي إجراء عسكري تجاه مخاطر العثمانيين على باب المندب وجنوب البحر الأحمر، وطرح بدائل أخرى.

وقد اتبعت بريطانيا خطوتين إستراتيجيتين لكبح الخطر العثماني في اليمن بعد مشاورات مكثفة مع ساستها، بعد ردود أفعال القوى المحلية في اليمن من هجومها على التحصينات العثمانية في باب المندب -كما أسلفنا-، وتمثلت الخطوة الأولى في القيام بالتحرك الدبلوماسي، والثانية بالتحرك العسكري للعمل على فرض حصار بحري خانق؛ فالمجال الدبلوماسي يقوم على جذب الزعماء العرب وإقناعهم بجدوى الصداقة مع بريطانيا ودفعهم إلى إعلان التمرد على الدولة العثمانية. أما مجال الحصار البحري فقد عدوه أحسن وسيلة لإضعاف العثمانيين داخل اليمن، وفي الوقت نفسه قد يدفع العرب للانشقاق والتبرم والتمرد، وكانت وجهة النظر التي استمر المقيم السياسي في عدن مع نائب الملك في الهند في اتباعها - كما أشير- تتمثل في توقف البحرية عن تكرار أي عمل عسكري أو القيام باحتلال بعض المراكز الدفاعية العثمانية في اليمن إبان اندلاع الحرب ليس خشية ردة فعل العرب تجاه الانجليز فحسب، بل لكسب القوى اليمنية ودفعهم للقيام في الهجوم على العثمانيين وطردهم من بلاد العرب نيابة عن القوات البريطانية، مقابل تعهدات الانجليز بالوقوف إلى جانبهم أثناء الحرب وبعد الحرب[103]. وفي المبحث التالي يمكننا التعرف على مدى تطبيق القوات البحرية والفريق الدبلوماسي البريطاني في عدن للتوجهات الجديدة ومدى ما

حققته من نجاح ساعد في الحد من الخطر العثماني على مصالح الحلفاء في الشرق.

المبحث الثاني:
تحركات البحرية البريطانية لفرض حصار اقتصادي وتجاري على اليمن، والعمل دبلوماسيًا على جذب القوى المحلية لتحريضها على العثمانيين إبان اندلاع الحرب

بدأت الحكومة البريطانية في الهند تحركاتها فعلاً بتحويل قراراتها تجاه اليمن إلى تطبيق من الأيام الأولى للشهر الثاني من دخول العثمانيين الحرب (ديسمبر 1914م)، إذ قامت بإصدار التوجيهات للأميرية البحرية البريطانية في البحر العربي والبحر الأحمر؛ بأن تقوم السفن البحرية بعمل دوريات مكثفة لفرض حصار بحري على العثمانيين في اليمن، باستثناء الموانئ التي يسيطر عليها الشريف الإدريسي الذي كان في حالة تفاوض لعقد اتفاق مع المقيم السياسي في عدن، فأخذت السفينة "أمير أوف رشا" بتكثيف دوريتها بين "عدن" و"جدة"، بينما كلفت السفينة "فيلوميل" في القيام بالدورية بين "مينا المخا" و"ميناء ذباب" و"خور عميرة" والتصدي للزوارق الشراعية من التوجه إلى "الشيخ سعيد"[104]، بفرض حصار محكم على الحامية العثمانية في منطقة "الشيخ سعيد" على باب المندب من إمدادها بالمياه والمؤن بهدف طردهم منها، خاصة أن الانجليز يعتقدون بأنه من الصعب أن يتم نقل المدافع والإمداد إلى منطقة الشيخ سعيد عن طريق البر لما تتميز به المنطقة من تضاريس وعرة[105]، غير أن بدء تطبيق الانجليز لإجراء الحصار- على ما يبدو- أثار حفيظة أصحاب المصالح التجارية في اليمن، مما جعل الحامية العثمانية في الحديدة تقوم بفرض الإقامة الجبرية على نائب القنصل البريطاني ونائب القنصل الفرنسي[106]، واحتجاز موظفين وتجار من رعايا بريطانيا وأخذهم رهائن[107]، قد يكون ذلك للضغط على الانجليز للتخلي عن الحصار.

أ- محاولة البحرية البريطانية إخلاء الرعايا قبل تنفيذ عمليات الحصار وتمكن العثمانيين من السيطرة على سفينتين انجليزيتين في الصليف[108]:

حاولت السفينة الانجليزية "كاواسجي دينشو" التجارية، ترافقها السفينة الحربية "وودكوك" الوصول إلى شاطئ ميناء الصليف في 7 ديسمبر 1914م، بهدف تخليص عدد من الموظفين البريطانيين العاملين في مناجم الملح في الصليف من الأسر وكان العثمانيون قد قبضوا عليهم عند إعلان الدولة العثمانية دخولها الحرب العالمية الأولى، وتم استخدامهم - بحسب المصادر البريطانية- في ملاحات الدين العام العثماني هناك، ولم تشر المصادر عن عملية عسكرية تذكر، وربما كان سعي الانجليز هو تخليص الأسرى بالتفاهم، غير أن العثمانيين لم يرحبوا بالتفاهم بل احتجزوا السفينة "دينشو" وقبطانها ورجلين برفقته، ثم التفوا على السفينة الحربية "وودكوك" وفرضوا عليها الحصار حتى استسلمت وتمكنوا من أسر طاقمها. وسنلاحظ بأن البحرية الانجليزية لم تتمكن بعد ذلك من القيام بأي عملية أخرى في الصليف حتى منتصف سنة 1915م[109]؛ لأن العثمانيين نقلوا جميع الأسرى الانجليز من الصليف إلى أحد السجون في صنعاء[110]، ومن خلال ما توافر من معلومات يبدو أن السفينة "دينشو" قامت بمحاولة تخليص الرعايا البريطانيين في اليمن دون علم السلطات في عدن.

ب- بداية انطلاق العمليات البحرية الانجليزية لفرض الحصار بإغراق زوارق شراعية يمنية وعثمانية في يختل[111] وذباب وجزر الفنارات تزامنا مع التحرك السياسي لجذب اليمنيين:

نتيجة للتدابير البريطانية الجديدة والمؤقتة ضد العثمانيين في اليمن والجزيرة العربية عمومًا - كما أشير- قامت السفن البريطانية في شهر ديسمبر 1914م بعد محاولة إخلاء الرعايا الفاشلة بتنفيذ دوريات مكثفة لتدمير الزوارق والسفن والمراكب الشراعية التجارية اليمنية والعثمانية وغيرها في بعض الشواطئ والجزر اليمنية لاسيما القريبة من باب المندب، بهدف محاولة إخلاء الساحل الشرقي والبحر الأحمر عموما من أي نشاط بحري للعثمانيين وغيرهم من المهربين، تطبيقا لسياسة فرض الحصار، وتأمين السفن والمراكب البريطانية

وحلفائها. ففي 8 ديسمبر 1914م بدأت خطوات فرض الحصار البريطاني بشكلها الواسع ؛ إذ قامت السفينة الحربية الانجليزية "فيلوميل" بمهاجمة مجموعة سفن شراعية كبيرة كانت راسية في شاطئ قرية "يختل"، وأطلقت عليها نيران مدافعها ؛ فدمرت حوالي ثماني سفن، وفي اليوم التالي 9 ديسمبر قامت السفينة الحربية "منتو" بمهاجمة ميناء "ذباب"، وللمرة الثانية في أقل من شهرين، فقامت بقصف عدة مراكب شراعية وتمكنت من تحطيمها، دون أن تذكر أي مقاومة من جانب الحامية العثمانية هناك في هذه المرة - بحسب المصادر البريطانية- [112]، وفي أواخر شهر ديسمبر من العام نفسه هاجمت السفينة الحربية "أمبرس أوف رشيا" ثلاثة زوارق شراعية عثمانية، وقامت بإغراقها، فربما اكتشفت بأن الزوارق الثلاثة تحمل أوامر من السلطات العثمانية في اليمن بوقف عمل الفنارات. وكانت الدولة العثمانية من قبل قد منحت شركة فرنسية امتيازا يقضي بإنشاء وصيانة وإدارة الفنارات العثمانية منها أربعة فنارات في ولاية اليمن والموجودة في ميناء "المخا" وفي جزر "أبو علي"[113]، و"الزبير"[114]، و"جبل الطير"[115]. وقد تزامن ذلك مع قيام المقيم البريطاني في عدن ومساعديه بنشاط دبلوماسي في جذب بعض القوى المحلية في ولاية اليمن لمحاولة عقد اتفاقيات تقضي بإحداث تمرد على العثمانيين في اليمن ؛ فقد ذكرت بعض المصادر الانجليزية أن المقيم في عدن استمر في التفاوض مع الإدريسي المتمرد على العثمانيين في "المخلاف السليماني" و"عسير"، وأنه على وشك التفاهم معه، كما ذكرت أن المقيم استطاع جذب الشيخ محمد بن ناصر مقبل الصراري قائمقام منطقة "ماوية" الحدودية مع النواحي الانجليزية، وهو من ابرز مشايخ اليمن في اللواء التعزي [116]، عن طريق السلطان علي بن أحمد العبدلي ؛ حيث بعث الشيخ محمد بن ناصر برسالة للمقيم في 17ديسمبر 1914م، "يقترح فيها إقامة تحالف عسكري بينه وبين العبدلي، يمكن أن تنظم إليه القبائل أو النواحي التسع [117]، فلقي اقتراحه ترحيبا من حكومة الهند، فسارعت إلى تقدير المساعدات اللازمة من الأسلحة، والذخيرة، والمال، لكن سلطان لحج تقاعس عن مناقشة بنود الحلف"[118].

ويشير مؤلف "هدية الزمن" بأن سلطان لحج بعث السيد علي بن محمد الجفري إلى منطقة المسيمير [119] في شهر محرم 1333هـ الموافق ديسمبر 1914م لمقابلة الحاج علي الكمرآني مندوب الباشا محمد بن ناصر، وبعد المباحثات صرح الجفري للمؤلف العبدلي بالقول: "اتفقنا جميعًا على أن ضرر نزول الأتراك لمحاربة عدن سيكون ضررا عائدا على أهل بر اليمن ؛ بسبب الحصار البحري الذي تضربه بريطانيا العظمى على ساحل اليمن، والأولى أن يسعى مشايخ اليمن في تسكين حركات الأتراك، ويقنع السلطان حكومة عدن ألا تحاصر سواحل اليمن، وتعتبر ولاية اليمن أرضًا عربية محايدة، وختمنا المقابلة استصواب هذا التدبير، ووجوب نزول الباشا محمد ناصر إلى لحج لمقابلة السلطان علي، وإتمام هذه المكرمة"[120].

1. الاحتلال البريطاني للفنارات العثمانية في اليمن جنوب البحر الأحمر:

افتتحت القوات البريطانية عملياتها عام 1915م ضد العثمانيين في اليمن بقيام أسطولها البحري باحتلال الفنارات العثمانية التي كانت مُقامة في ثلاث جزر يمنية في جنوب البحر الأحمر، وقد سبقت الإشارة إلى أن الدولة العثمانية كانت قد منحت شركة فرنسية إمتيازا يقضي بإنشاء وصيانة وإدارة الفنارات العثمانية منها أربعة فنارات في ولاية اليمن، وهي المقامة في كل من ميناء "المخا" وجزر "أبو علي"، و"الزبير"، و"جبل الطير"[121]، وتعد الفنارات ذات أهمية لإرشاد الحركة الملاحية في البحار والمحيطات[122].

ونتيجة لأهمية موقع الجزر تلك على خط الملاحة وما تقوم به الفنارات المقامة عليها من وظيفة، كانت خشية بريطانيا أن تستغل من قبل الحامية العثمانية في اليمن وتصبح خطرًا يعيق حركة السفن الانجليزية، وقد يساعد استخدام الجزر والفنارات في تنفيذ أي مخططات ضد مصالحها في الشرق من قبل دول المحور ؛ فمع اكتشاف الانجليز قيام العثمانيين بإرسال زوارق شراعية منذ الشهر الماضي وبحوزتها أوامر عثمانية تقضي بإيقاف عمل الفنارات في الجزر اليمنية المذكورة، بالرغم من أن الفنارات تلك تدار من شركة فرنسية- كما اتضح- ؛ لكن يبدو أن السبب كان حركة استباقية من

الأسطول البريطاني في البحر الأحمر لإفشال الخطط العثمانية- الألمانية الرامية لإعاقة الملاحة، والحركة تلك جاءت بعد تمكن 49 من الضباط والجنود الألمان في الإبحار بالسفينة "شويسنج" بقيادة "فون ميوكة" من المحيط الهندي عبر باب المندب والوصول إلى ميناء الحديدة في 7 يناير 1915م دون علم دورية البحر الأحمر[123]؛ الأمر الذي جعل الحكومة البريطانية تقف عند خطورة تلك الفنارات بالنسبة لحركة الملاحة ومصالحها في الشرق- كما أسلفنا- ، وخطورة إفشال تدابير الحصار البحري الانجليزي للعثمانيين في اليمن. فالدولة العثمانية - كما يبدو- كانت تتعمد تكرار محاولة إيقاف الفنارات لتستخدمها في مساعدة الزوارق والسفن المحلية في عملية التهريب، وذلك قد يكون السبب الذي جعل بريطانيا توجه قواتها البحرية بمباشرة احتلال جزر الفنارات اليمنية كحل استباقي، حيث قامت السفن الحربية المكلفة بالدوريات في البحر الأحمر أوائل يناير من عام 1915م بإنزال قوات عسكرية تمكنت على أثرها من احتلال الجزر الثلاث: "أبو علي"، و"الزبير"، و"جبل الطير". وتشير المصادر إلى أن بريطانيا لم تقم بأي محاولة لاحتلال فنار ميناء "المخا" فيما بعد[124]. علما بأن فنارات الجزر الثلاث ظلت تحت الاحتلال الانجليزي لعدة سنوات بعد الحرب العالمية الأولى[125].

واللافت هنا أن المصادر البريطانية لم تتناول مواقف يمنية مُعارضة لعمليات احتلال جزر الفنارات؛ إذ نجد أن الانجليز لم يراعوا ما أعلنوه في سياستهم تجاه العرب التي جاءت ببياناتهم السابقة أهمها ما جاء بالنص: ان "الحكومة البريطانية لا تضمر أي رغبة في توسيع حدود ممتلكاتها"- كما أشير إلى ذلك- ولم يراعوا ردود الفعل العربية؛ إذ إن عملية الاحتلال تلك جاءت قبل رد الإمام يحيى على رسالة المقيم السياسي في عدن لإعلان موقفه من طرفي الصراع في اليمن بشكل واضح، لاسيما أن الإمام يحيى في رده على رسالة جاكوب مساعد المقيم المشار إليها؛ ذكر أنه مازال يدرس بوضوح اتجاه الانجليز العام بعدم التدخل في الشؤون العربية، فموقف الإمام حتى تلك اللحظة- كما وصفه جاكوب- مازال متذبذبًا[126]، ويعني ذلك أن على البريطانيين التحرك بحذر لكسب المزيد من ثقة الإمام وغيره من العرب.

وكان محمود نديم باشا[127] الوالي العثماني في اليمن يدرك التحركات الدبلوماسية البريطانية الساعية لكسب بعض الزعامات المحلية في ولايته؛ ويعرف مدى خطورتها في حال إعلانها التمرد على قواته، لذا سعى منذ الشهور الأولى لدخول الدولة العثمانية الحرب العالمية إلى إيقاد حماسة روح الجهاد عند الشعب اليمني، واصفا بأن الحرب تستهدف الإسلام، وإلحاق بلاد العرب بممتلكات التاج البريطاني[128]. وكثيرا ما استغل الأخطاء التي كان يرتكبها الانجليز على السواحل اليمنية في تهييج الشعب اليمني ضد الأطماع البريطانية-كما لوحظ من قبل -لاسيما عند هجوم البحرية الانجليزية على منطقة "الشيخ سعيد" في نوفمبر الماضي، ولم يكتف نديم بذلك بل سعى بشكل كبير إلى أن يستميل الشريف الإدريسي إلى صف الدولة العثمانية لضمان تأمين الطرق التجارية وسلامة القوافل بين الحجاز واليمن التي تمر عبر عسير[129].

وقد وصف جاكوب في مذكراته موقف محمود نديم عند محاولته استمالة الإدريسي وخشيته إغضاب الإمام يحيى بالقول: "وكانت مهمة محمود نديم شاقة وعسيرة، إذ كان في موقف دقيق يستدعي العناية ويتطلب الحصافة واللباقة؛ لأنه إذا ما حاول استرضاء الإدريسي أو استمالته ضد رغبات الإمام فان الأخير سوف يُقابل ذلك بالسخط والاستياء. كما أنه لن يسكت على تقويته خصمه المنافس أو زيادة نفوذه في الأراضي السهلية والساحلية"[130] من ولاية اليمن.

وكان الإمام يحيى يراقب الوضع عن كثب؛ لأنه كان يَعد الموقف العثماني غير الواضح من الإدريسي من أهم عوامل تأخر رده على سلطان لحج والمقيم السياسي في عدن، ولا يستبعد معرفة الوالي محمود نديم بمحاولة تأليب الانجليز للإمام يحيى وغيره على القوات العثمانية في اليمن؛ لذا رأت القيادة العثمانية في صنعاء أن يكون الاقتراب من الإمام واسترضائه أكثر هو الأنسب للصراع مع الانجليز في اليمن من جهة؛ وإخضاع الإدريسي إذا رفض الانضواء تحت الراية العثمانية من جهة أخرى، وفي سبيل ذلك

قدم محمود نديم تنازلات تغري الإمام[131]- بحسب اعتراف المصادر البريطانية نفسها- بل وتمنعه من التمرد، وربما تعد بالنسبة للإمام مناسبة أكثر بكثير مما وعد به الانجليز وأكثر واقعية، فيقول مساعد المقيم السياسي في عدن إنه سمع فيما بعد من مصادر لها علاقة بالإمام يحيى، أن العثمانيين "منحوا الإمام قدرا كبيرا من السيادة والسلطة، كما اقترحوا ترك صنعاء والجلاء عنها وعن المناطق المجاورة، وجعل تعز مركزا لهم... وقد يرغبون في الذهاب إلى أبعد من ذلك، ويتركون اليمن بكاملها للإمام إذا لم تتشاءم من ذلك الممثلة الألمانية أو تقدم رأيا مخالفا أو تقول بأن خطوة كهذه سوف تسهل الاحتلال البريطاني للبلاد"[132].

وقد حاول مساعد المقيم السياسي تحليل نفسية الإمام يحيى والعوائق التي تحول بين الإمام وإعلانه التمرد على العثمانيين في اليمن؛ حيث قال: "والإمام كان راغبا قلبيا في خروج الأتراك ومرحبا في قرارت نفسه برحيلهم ...لكن التمرد المكشوف ضد الأتراك، كان أمرًا متعذرًا أو غير قابل للتطبيق للأسباب المذكورة سابقًا(...)" واعتبر أن الإمام يحيى لا يمكنه التمرد أو الاتصال بالإنجليز بحرية كمنافسه الإدريسي؛ لأنه "كان مقيمًا في الجبال محاطًا بسياج من الجنود الأتراك[133].

وفي الحقيقة كانت الإدارة السياسية البريطانية في عدن تعرف ما يقع على عاتق الإمام يحيى من ضغوطات، وأكثر مما شرحه مساعد المقيم؛ إلا إن العرض البريطاني للإمام - كما يبدو- والمشروط بإعلان التمرد على العثمانيين أولا لم يكن بمستوى الضغوطات الدينية والسياسية والقبلية والاقتصادية والأمنية - كما أشير- ، بل كانت الأخطاء المرتكبة على السواحل اليمنية خلال تبادل الرسائل والاستغلال العثماني لها إعلاميا تبعث في نفسية الإمام وأتباعه عدم مصداقية الوعود الانجليزية له ولغيره من العرب[134]؛ إذ إن الخلفية التاريخية للأساليب الاستعمارية المشهورة - كما يعتقد- كانت توحي للإمام بذلك؛ فقد جاءت رسالة الإمام الجوابية على سلطان لحج علي العبدلي و"شو" المقيم السياسي مترجمة لكل ما ذكر.

2. وصول مبعوث الإمام يحيى إلى لحج وعدن حاملا الرد على رسالة المقيم والسلطان الموضحة موقف الإمام الحيادي.

في يناير 1915م استقبل السير علي بن أحمد العبدلي سلطان لحج في قصره هارولدف جاكوب مساعد المقيم السياسي، ومعه السيد محمد علي شريف مبعوث الإمام يحيى حاملا رسالة جوابية ردًا على رسالة المقيم والسلطان السابقة، قدم فيها الإمام يحيى اعتذاره لعدم قدرته على نقض "صلح دعان"[135] المبرم مع الدولة العثمانية في عام1911م والذي ينص على قيام هدنة بين الفريقين لمدة عشر سنوات[136]. فالإمام وضح بالرسالة أنه يحتفظ بولائه للعثمانيين، وبالمقابل وعد بحسن نواياه تجاه بريطانيا[137]، وبعبارة أخرى بحسب تلخيص صاحب كتاب هدية الزمن في أخبار ملوك لحج لموقف الإمام السياسي بالقول: "أما سياسة الحضرة الإمامية آنئذ فكانت التأني والتظاهر بالحياد المشرب بالعطف والميل إلى حكومة محمود بك نديم والي اليمن، دون أن يتعرض لعداء بريطانيا العظمى وحلفائها، وانتظار الفرص المناسبة للاستفادة من هذه الحرب بمقتضى تغيير الأحوال ومساعدة الظروف"[138].

وذكر جاكوب أن المبعوث عبر له عن ذلك قائلا: إن الإمام سيكون في موقع المتفرج فقط إذا دخل العثمانيون في مواجهات عسكرية، مقابل رفع البحرية البريطانية الحصار عن اليمنيين، وإفساح المجال لرعاياه كالسابق في ممارسة نشاطهم في موانئ البحر الأحمر، وميناء عدن، كذلك أن يرسل الانجليز خبراء لتعليم أتباعه صناعة البارود، ولا يستبعد تقديم طلب الاعتراف به فورا بمنصب الخلافة، وقال رسول الإمام لجاكوب: "إنكم إذا استطعتم الاستجابة فإنه سوف لا يوجد شيء لا يفعله الإمام لكم". وفي الوقت نفسه طرح على جاكوب ما تقدم به العثمانيون من عروض مغرية للإمام - سلف ذكرها- مقابل الاحتفاظ بولائه للعثمانيين، ولعل هدف المبعوث من ذلك إيغار صدر الانجليز ليقبلوا شروط الإمام تلك، غير أن جاكوب عبر في مذكراته عن صعوبة تنفيذ الانجليز لتلك الشروط، قائلا: "لكن استجابتنا كانت غير ممكنة في ذلك الوقت"[139].

وكان المبعوث محمد علي شريف قد سلم سلطان لحج رسالة شخصية من الإمام يحيى ؛ وضح له فيها رغبة الوالي محمود نديم في استمالته إلى جانب الدولة العثمانية ؛ الأمر الذي جعل المؤرخ العبدلي يعلق على رسالة الإمام يحيى اعتبر فيها السبب الحقيقي ليس هو جدية الإمام في استمالة السلطان لجانب الدولة العثمانية ؛ وإنما إسقاط واجب وإرضاء خاطر محمود نديم لعلاقته به ؛ لأن الإمام يعلم بعلاقة سلطان لحج ببريطانيا أبا عن جد، حيث قال: "ومع أن الإمام كان عالما بنية السلطان علي لم يسعه إلا أن يكتب للسلطان علي بما ترجاه فيه محمود بك نديم استرضاء لخاطره"[140].

3. قصف البحرية الانجليزية لزورق عثماني في منطقة الشيخ سعيد:

أثناء ما كان مبعوث الإمام يحيى يتباحث مع سلطان لحج ومساعد المقيم السياسي في عدن دون أن يحصل على نتائج مرضية كما مر معنا، قامت السفينة الحربية "أمبرس أوف راشيا" في 23 يناير 1915م بقصف زورق عثماني في "الشيخ سعيد" فدمرته، فقد ذكرت المصادر نقلا عن الوثائق البريطانية أن الزورق حاول توصيل إمدادات إلى القوات العثمانية المتمركزة في "الشيخ سعيد"[141]، ولا يمكننا التكهن ومعرفة سبب مخاطرة القيادة العثمانية في اليمن بتسييرهم زورقاً محملاً بالمؤن إلى منطقة "الشيخ سعيد" التي فرضت عليها الدوريات البريطانية حظرًا ورقابة شديدة أكثر من غيرها- كما أشير- وكذا تحريك العثمانيين للقوات من صنعاء والقيام بالسيطرة على منطقة الضالع الواقعة ضمن المحميات الانجليزية، وما هدفهم من ذلك وفي ذلك التوقيت بالذات؟ فهل الأمر محاولة لإرباك المشهد ضمن مخطط عثماني للزحف إلى عدن والسيطرة على باب المندب فور نجاح السيطرة على قناة السويس، أم إن الأمر عبارة عن ردة فعل عثماني طبيعية في اليمن لإفشال التحرك الدبلوماسي الانجليزي الرامي إلى جذب محمد بن ناصر أبرز مشايخ اللواء التعزي لصفهم، ودفعه للتمرد على العثمانيين في اليمن وطردهم من اللواء؟ - هذا ما سيتضح لنا فيما سيأتي- .

- أول ردة فعل عسكرية للقيادة العثمانية في اليمن تجاه تحركات الحصار البريطاني بسيطرة القوات العثمانية على إمارة الضالع:

عملت القيادة العثمانية بصنعاء على تجهيز قوة عسكرية وأمرتها بالتوجه صوب الحدود (الانجلو- تركية) في اليمن ومهاجمة إمارة الضالع الواقعة ضمن النواحي البريطانية، فتمكنت القوات العثمانية في اليمن من التوغل والسيطرة على الضالع بسهولة، وذلك في 13ربيع الأول 1333هـ الموافق 29 يناير 1915م[142]، دون أي مقاومة تذكر، والذي يجب ملاحظته هو أن هجوم القوات العثمانية على الضالع كان قد تزامن مع قيام جمال باشا[143] الحاكم العثماني في الشام بالهجوم على قناة السويس ومصر في 2 فبراير 1915م[144]، أي إن السيطرة على الضالع سبقت محاولة الهجوم على السويس بأربعة أيام، وهذا يرجح ما ذهبنا إليه بأن العملية كانت منسقة، والدليل على ذلك أن الهدف كان في البداية هو السيطرة على عدن وباب المندب وقناة السويس في وقت متزامن.

وكانت القيادة العثمانية في اليمن عند خروج القوات من صنعاء وأثناء الهجوم على الضالع قد بدأت ببث الإشاعة بأن الدولة العثمانية قد أطبقت سيطرتها على قناة السويس ومصر وأقفلت باب المندب، وأن قواتها تزحف نحو النواحي للسيطرة على عدن، حيث جاء ذلك برسالة بعث بها أمير الضالع عند سقوط إمارته في 29 يناير إلى السير علي سلطان لحج ؛ وكأن الأمر أصبح واقعًا ؛ فالمؤرخ العبدلي فصّل ذلك بالقول: "ولما وصل الأتراك إلى الضالع في 12ربيع الأول سنة 1333هـ كتب الأمير نصر إلى السلطان علي يقول: إن الحركة قوية جدًا، وإن جيوشًا تركية وإمامية ويمانية "لا لها قدر"(كذا) وان الدولة العثمانية أخذت مصر والخور[145]، وأقفلت باب المندب (كذا) وحصنته بالعساكر، والآن جهزت عساكرها من طريق اليمن وواصلين إلى "قعطبة" و"ماوية" و"الراهدة". وطريقهم "الدريجة" و"الراهدة" ومن حدودنا، والآن الثورة والحركة قوية بالمرة ظاهرًا وباطنًا ومتوجهين عدن.

ونحن قد رفعنا للانكليز بالحقائق، وأيضا سمعنا أنكم عاونتم الدولة البريطانية بخمسين ألفًا، ورؤساء الترك سمعوا بذلك واغتاظوا...وعندما يصلون قرب لحج لازم علينا قوام العهد، ونتدخل بينكم بموجب المخوة وجميع الأمور، وندخل أوجاهنا لكم ولهم" [146].

ربما حدثت تطورات جعلت الانجليز بعد سقوط الضالع وفشل جمال باشا في قناة السويس يوقفون العمليات البحرية ضد العثمانيين في الجزر والساحل اليمني في جنوب البحر الأحمر، لأكثر من ثلاثة أشهر، وعلى ما يبدو كانت أسباب عديدة لإيقاف العمليات البحرية، لا يستبعد بأنها كانت عبارة عن تهدئة؛ نتيجة لرسالة الإمام يحيى عبر مبعوثه، ومساعيه عند الانجليز في تخفيف حدة الحصار على رعاياه كما تقدم، أو نتيجة لقيام حكومة الهند بتكليف المقيم في عدن بقيادة إمارة البحر(الاميرالية) وحماية جنوب البحر الأحمر في 9 فبراير 1915م، بعد أن كانت تدار من القاهرة[147]، فقد يرجع السبب لانشغال المعتمد السياسي في مصر في مجابهة خطر حملات جيش جمال باشا التي حاولت الزحف إلى مصر والسيطرة على قناة السويس في 2 فبراير من نفس العام- كما أشير- [148]، أو لتداخل المهام بين إدارة القاهرة التي تتلقى التوجيهات من لندن وإدارة عدن المرتبطة بالإدارة في الهند[149]، وحينئذ- كما يبدو- استخدم المقيم في عدن سلطاته؛ فعمل على كبح جماح الاميرالية، بإلزامها وقف العمليات طوال هذه المدة ليترك مجالاً يقوم من خلاله بتكثيف المساعي السياسية والدبلوماسية لإيضاح وجهة نظر بلاده وإثبات حسن نيتها تجاه العرب، ومستقبل علاقة بلاده مع اليمن لمحاولة إقناع زعامات مركز القوى بجدوى عقد تحالفات مع بريطانيا لضمان مستقبلهم السياسي، ويرجح أن التحرك السياسي البريطاني هذا، جاء بعد فشل الجولة السابقة نتيجة الأخطاء المرتكبة المتمثلة بالعمليات البحرية - سالفة الذكر- التي استغلتها القيادة العثمانية في صنعاء لتهييج اليمنيين بإشعارهم أن للانجليز أطماعًا استعمارية في بلادهم، مما جعل عرب اليمن يرون أفعال بريطانيا مخالفة لأقوالها، وكان رد الإمام يحيى على مطالب الانجليز غير المرضية - بحسب اعتراف جاكوب- دليلاً على أنها جاءت نتيجة لتلك الأفعال الخاطئة[150].

وقد تكون هناك أسباب أخرى لتوقف العمليات البحرية البريطانية كل هذه المدة؛ لكن من المرجح أن العامل الأخير هو الأقرب إلى المنطق، فقد أثبتت دراسة الباحث (بولدري) من خلال الوثائق البريطانية أنه "قد ساد وزارة الهند الشعور بالخوف من أن تتصرف سفن الدوريات بقسوة ضد العرب، لذلك انتهزت كل فرصة لتذكير إمارة البحر(الاميرالية) بالتزاماتها في هذا الصدد. وفي اجتماع المجلس الوزاري البريطاني في يناير 1915م قدم اللورد كريوى(Crewe) إلى تشرشل(Churchil) مذكرة تقول إن وزارة الهند تشعر بشيء من الانزعاج تجاه تلميحات الأدميرالية بأنه من المقترح التعامل بشكل أكثر حدة مع بعض موانى البحر الأحمر، وقد ذكرت وزارة الهند نائب الملك في فبراير بأنه فيما عدا ما يخص سلامة السفن الحربية البريطانية، فإن الاعتبارات السياسية تفوق جميع الاعتبارات المحلية في المنطقة الجنوبية في الوقت الحالي، وأنه لا يجب اتخاذ أي عمل هناك من جانب السفن الحربية البريطانية إلا بموافقة الضباط السياسيين الذين يرافقونها، والذين يجب أن يتلقوا التعليمات من المقيم البريطاني في عدن وجدة"[151]. لذلك سنلاحظ في المبحث التالي كيف نشط الدور السياسي للمقيم في عدن وفريقه الدبلوماسي عملاً بالتوجيهات في إنجاح عقد بعض التحالفات مع بعض مراكز القوى المحلية في ولاية اليمن العثمانية.

المبحث الثالث:

التحركات السياسية البريطانية لعقد تحالفات مع قوى يمنية للقيام بالتمرد على العثمانيين وما تخللها من ردود أفعال عثمانية

تماشيا مع التوجه البريطاني الجديد تجاه اليمن؛ تمكن "شو" المقيم السياسي في عدن ومساعدوه عن طريق السير علي بن أحمد العبدلي سلطان لحج إحراز تقدمٍ على الصعيد السياسي والدبلوماسي؛ فقد نجح في الاتصال ببعض الزعماء المحليين داخل ولاية اليمن العثمانية، إذ دارت مباحثات جادة بين الأطراف اليمنية

والبريطانية خلال الأربعة الأشهر الأولى لسنة 1915م، تكللت تلك المساعي بعقد اتفاقية مع الشيخ محمد ناصر مقبل أبرز زعماء لواء تعز، وعقد معاهدة مع الشريف محمد علي الإدريسي أبرز زعماء المخلاف السليماني.

أ- الاتفاقية البريطانية مع شيخ "ماوية" أبرز زعماء لواء تعز:

عندما سقطت إمارة الضالع بيد القوات العثمانية ربما شعر الانجليز في عدن وسلطان لحج بأنه يجب سرعة التحرك لإفشال مخطط الحكومة العثمانية في اليمن عن طريق عقد اتفاقية تعاون مع شيخ ماوية لطرد العثمانيين من لواء تعز، وكانت قد سبقت الإشارة إلى حدوث تواصل بين شيخ "ماوية" قائمقام (عامل القضاء) الشرمان والقماعر محمد ناصر مقبل والانجليز في عدن عن طريق السير علي سلطان لحج منذ شهر ديسمبر 1914م، ونزولا عند الاتفاق سالف الذكر بين المندوبين، ذكر صاحب هدية الزمن أن علي الجفري مبعوث السلطان "جاء إلى لحج ومعه مندوب الباشا محمد بن ناصر، وأشاروا على سلطان لحج أن تظهر حكومة عدن نفسها بمظهر القوة لكي يتمكنوا من إقناع الأتراك"[152].

وكانت زيارة مندوب الشيخ محمد ناصر مقبل باشا - كما يبدو في ذلك الوقت -في إطار استمرار المباحثات مع السلطان العبدلي - بحسب ما أشار إليه (Gavin) في مؤلفه- بأنه تباحث يهدف لقيام تحالف عسكري بينه وبين العبدلي، ويمكن أن تنظم إلى التحالف النواحي التسع بحسب اقتراح محمد ناصر للإنجليز في عدن، وخلال المباحثات التي تأخرت بسبب تقاعس السلطان العبدلي عن مناقشة بنود التحالف، وقبل الوصول إلى توقيع ذلك التحالف الذي رحبت به حكومة الهند، وقيامها بتقدير المساعدات اللازمة من الأسلحة، والذخيرة، والمال، كانت القوات العثمانية قد عبرت حدود الضالع واستسلم أميرها، وعندها اضطرت بريطانيا وسلطان لحج - ربما بدعوة الشيخ محمد ناصر- إلى استعجال توقيع اتفاقية تعاون فقط مع الحكومة البريطانية[153]. فوقع الطرفان على الاتفاقية في 5 ربيع الثاني 1333هـ الموافق 19 فبراير 1915م، جاءت بعدة مواد[154] هي: "

- يتعهد المقيم السياسي في عدن بدفع مبلغ 75 ألف رُبية إلى الشيخ محمد ناصر مقبل، حيث سيتم دفع 25 ألف رُبية في الحال بواسطة سلطان لحج العبدلي، والباقي يدفع بعد ذلك بتوصية من سلطان لحج.

- يمكن زيادة مبلغ المساعدة المالية إذا لم تكف لتغطية نفقات طرد العثمانيين.

- إذا فاتح أي من مشايخ لواء تعز المقيم في عدن للانفصال عن سلطة الشيخ محمد ناصر مقبل فإنه يجب على الحكومة البريطانية التأكيد على هؤلاء بتقديم الطاعة لمحمد ناصر مقبل.

- عند انتهاء القتال وعندما يجني محمد ناصر مقبل ثمار انتصاره ستعترف الحكومة البريطانية برئاسة محمد ناصر مقبل وباستقلاله تحت الحماية البريطانية.

- يتعهد محمد ناصر مقبل باحترام هذه المعاهدة وبالتخلي عن صداقته للعثمانيين من تاريخ توقيع هذه الاتفاقية، وبأن يبدأ القتال فور استلامه القسط الأول من المبلغ المتفق عليه.

- يتعهد محمد ناصر مقبل بنقل وترحيل الشيخ قايد صالح وأتباعه من الحدود الداخلية في محمية الحكومة البريطانية ووضع حد لتحركاته ضد الضالع وجبل جحاف، ومحاولة إشراكه في مشروع طرد العثمانيين كمعاون لمحمد ناصر مقبل.

في حالة استسلام العثمانيين لمحمد ناصر مقبل في لواء تعز مقابل ترحيلهم إلى خارج تعز يتعهد المقيم في عدن بتأمين سلامة هؤلاء في عملية الترحيل.

وقد وقع الاتفاق بالإضافة إلى المقيم ومندوب محمد ناصر مقبل كل من محمد عبد السلام والسلطان علي بن أحمد علي العبدلي سلطان لحج ومحسن فضل بن علي كشهود من جانب؛ وهارولد جاكوب "وبراد شو" كشهود من جانب أخر"[155].

وهناك إشارات تفيد أن الشيخ محمد ناصر مقبل قبض حفنة من الذهب من الانجليز[156]؛ فقد ذكرت بعض الدراسات أن الانجليز منحوا الشيخ محمد ناصر مقبل المبلغ، وتعهدوا له بحمايته، ووعدوه بتحريك قوات بريطانية إلى الضالع لدعمه، غير أن الوعود البريطانية- بحسب بعض المصادر- لم تتحقق؛ نتيجة

التوجهات الجديدة لنائب الملك في الهند، والمتمثلة بعدم دعم الشيخ بن ناصر مقبل، مبررا تخلي بلاده عن تنفيذ الاتفاقية بأن العمليات الأساسية للصراع مع دول المحور هي في أوروبا؛ أي ليست داخل الساحة اليمنية[157].

وكيفما كان الأمر لم تطلعنا المصادر الموجودة بين أيدينا ما يدل على أن الشيخ محمد بن ناصر قام بعمل يذكر وفقا للاتفاقية، وهذا ما صرح به الشيخ نفسه لجاكوب مساعد المقيم عند لقائه في عدن أثناء توديعهما أمير الآي علي سعيد باشا هناك، خلال انسحاب القوات العثمانية من اليمن وبحثهما عن إمكانية استئناف إقامة علاقة جديدة مع الانجليز، وجاء ذلك التصريح ردا على ما ورد من عتاب من الانجليز على لسان جاكوب، حول عدم التزام الشيخ بن ناصر بالاتفاقية الموقعة معهم لمحاربة العثمانيين في تعز، الذي برر سبب عدم التزامه بالاتفاقية إلى ما تعرض له من ضغوط، منها توجيه القوات العثمانية فوهات المدافع نحو داره[158].

وكانت القوات العثمانية في تلك الأثناء قد اجتاحت محمية الضالع بقيادة علي سعيد باشا، الذي انتقل بعد سيطرته على الضالع إلى مدينة إب وطلب من الأمير إسماعيل بَا سَلامة مدير بلدية إب والوجهاء والمشايخ والتجار تكوين جيش من المتطوعين والاستعداد لاجتياح الجنوب لطرد الانجليز من عدن[159]، ثم انتقل إلى مدينة تعز لذات الشأن، ونتيجة لتجاوب الأهالي قام بترتيب القوات في المعابر الحدودية، وفي منطقة الشيخ سعيد والمخا وغيرها من المراكز الساحلية القريبة من باب المندب[160]، الأمر الذي جعل شيخ ماوية - كما يبدو- وجها لوجه ليس مع حملة علي سعيد باشا القادمة من صنعاء فحسب؛ بل في وجه الحماس الشعبي الداعي للجهاد ضد الكفار المحتلين لعدن، تسبقه الدعاية العثمانية بأن جيوش السلطان قد سيطرت على مصر وقناة السويس وأقفلت باب المندب، وأن محمية عدن أصبحت محاصرة وستقع في أيديهم بسهولة، وأن أي موقف مناقض للتيار يعد في نظر الأهالي مخالفًا للدين، ويجد صاحبه وحيدا في مواجهة القوات الحكومية، لاسيما أن بن ناصر يعد الاتفاقية الموقعة مع الانجليز لا تلبي ما كان يطمح إليه؛ إذ كانت تقتصر فقط على الاعتراف والدعم المالي المشروط، ولم تصل بنودها إلى مستوى ما كان قد قدمه من مقترح في 17 ديسمبر 1914م بداية المباحثات بينهما؛ الداعي إلى تكوين تحالف عسكري يشمل اللواء التعزي بقيادته مع سلاطين النواحي التسع الجنوبية مدعوماً بالسلاح والمال من بريطانيا.

ولابد أن محمد بن ناصر وكثيراً من سلاطين النواحي أدركوا، أبعاد الرسالة العسكرية التي قدمها علي سعيد باشا لهم عند سيطرة قواته على إمارة الضالع، دون أن يجدوا أي مقاومة انجليزية أو تحركات عسكرية لاستعادتها، بل لم يجدوا أي دعم انجليزي لأميرها نصر ابن شايف، ويبدو أن كثيرا ممن كان لا يحب العثمانيين من اليمنيين عدوا الموقف البريطاني تجاه إمارة الضالع خذلانًا، يمكن أن يقعوا به، كما أن الموقف يوحي لهم عن مدى صحة الدعاية العثمانية، وعندها لم يجد الشيخ بن ناصر بداً من الجنوح للعثمانيين معلنا تعاونه معهم؛ قالبًا ظهر المجن لسلطان لحج والاتفاقية مع الانجليز؛ لذا سيلاحظ القارئ أن مؤلف هدية الزمن لم يبرز الموقف بوضوح عند تناوله العلاقة بين علي بن أحمد سلطان لحج ومحمد بن ناصر شيخ ماوية في تلك الفترة؛ إذ عدها علاقة هامشية وليست مباحثات لعقد تحالفٍ ما، بل جاءت كتابته عنه أنها توحي بأن الشيخ ابن ناصر كان يقف إلى جانب العثمانيين منذ إعلان الحرب[161] وذلك على عكس ما تناولته المصادر البريطانية.

وقد يكون تحول ابن ناصر عن الاتفاقية مع الانجليز لصالح القوات العثمانية إلى جانب ذلك كله ناتجاً عن اكتشاف العثمانيين للاتفاقية، والدليل إعلان القيادة العثمانية إلحاق إمارة الضالع بعد السيطرة عليها بمشيخة "ماوية" تحت نفوذ الشيخ محمد بن ناصر الصراري[162]، وربما جاء ذلك من العثمانيين مكافأة له مقابل تخليه عن الاتفاقية مع الانجليز، ولا يستبعد ذلك إن وجد الشيخ ابن ناصر المسؤولية الجديدة بديلا يغنيه عن الدعم المالي الانجليزي، هذا إلى جانب إذا كان فعلا قد قبض من الانجليز حفنة

من الذهب، وإنما يبدو أن ابن ناصر وجد ضم الضالع إلى نفوذه سيجعل مستقبله مع العثمانيين أفضل، بل أوحى له ذلك بحاجة العثمانيين له أكثر، وعندها على الأرجح فضَّل إعلان ولائه للعثمانيين.

ب- التعزيزات العثمانية في باب المندب واستئناف البحرية البريطانية قصفها لمنطقة الشيخ سعيد في 10 أبريل 1915م.

لم تقم بريطانيا بأي عملية عسكرية برية أو بحرية - بحسب المصادر المتوفرة بين أيدينا- ضد ما قام به العثمانيون من تحركات في اليمن قرابة ثلاثة الأشهر منذ تدميرها لزورق عثماني قرب منطقة الشيخ سعيد في 23 يناير، وبعد تمكن قوات الحلفاء من صد الهجوم العثماني في 3 فبراير على قناة السويس، وكذا منذ تم تكليف المقيم السياسي في عدن في 9 فبراير بحماية البحر الأحمر- كما تقدم- وربما يعود ذلك الجمود إلى شخص المقيم في عدن نفسه، استجابة لمطلب مندوب الإمام يحيى في تخفيف الحصار عن أتباعه، وتنفيذا لسياسة عدم إثارة العرب من أطماع بريطانيا، وإبداء حسن النية بهدف إنجاح محاولات استقطاب مراكز قوى داخل ولاية اليمن للقيام بالتمرد والثورة على العثمانيين وطردهم من البلاد.

وقد يكون توقف العمليات العسكرية البريطانية في اليمن خلال تلك الفترة يتماشى مع الخطط الانجليزية العامة؛ نتيجة تفوقها البحري، لاسيما في حالة تعرض مراكزها البحرية مثل (عدن وقناة السويس وميون وغيرها) لأي تهديد أو هجوم بري؛ فالسياسة الاستعمارية البريطانية عمومًا كانت تعتمد بشكل أكبر على أسطولها البحري في حماية تلك المراكز، ولا يستبعد إن قامت القطع الحربية البريطانية المنتشرة في خليج عدن وجنوبي البحر الأحمر - خلال تلك المدة - بالتوجه إلى قناة السويس لحمايتها من خطر الحملة العثمانية بقيادة جمال باشا على القناة ومصر.

وهي المدة التي فيها بدأت القوات البرية العثمانية داخل ولاية اليمن بالتحركات نحو الحدود(الانجلو- تركية)، وسيطرتها على إمارة الضالع - كما تبين-، ومن ثم أرسلت تعزيزات كبيرة إلى منطقة الشيخ سعيد في باب المندب، وبدأت بالدعاية والتحضير لشن هجوم على بقية النواحي التسع وطرد الانجليز من عدن، مستفيدين من هيجان الشعب اليمني الناتج عن دعاية الانتصارات العثمانية المزعومة في السويس - كما أشير-؛ فقد أشارت الوثائق العثمانية إلى أن القيادة في صنعاء كانت قد أرسلت تعزيزات عسكرية جديدة في شهر فبراير لتقوية مراكزها العسكرية في "باب المندب"؛ مؤكدة أن الوضع في باب المندب مستتب، وتحت السيطرة حتى أواخر مارس 1915م[163]، وهذا يتفق تماما مع المصادر البريطانية التي تشير إلى أن السفن الحربية الانجليزية لم تستأنف عملياتها ضد العثمانيين في الساحل اليمني إلا في10 أبريل 1915م[164]. وذكر صاحب مؤلف حياة عالم وأمير المعاصر للأحداث ان علي سعيد باشا "حينما كان في تعز جهز قوة من الجيش التركي على رأسها "حقي بك" الذي لقب بعد ذلك قومندار باب المندب وسرعان ما احتل محل الشيخ سعيد وقلعة باب المندب وذُباب وجبل مراد، وأجبر القوات الانجليزية على الانسحاب وحصنوا تلك المواقع تحصيناً عسكريا قويا محكما وتركوا جزيرة بريم ميون بيد العدو الانجليزي وليس عندنا تحليل لبقائها بأيديهم؛ إذ كان من السهل احتلالها بدون مقاومة تذكر"[165].

لعل استئناف البحرية البريطانية عملياتها في الساحل اليمني جاء بعد أن استكملت مهمتها في قناة السويس؛ إذ كلفت القطع الحربية بعد ذلك بإزالة الخطر العثماني المهدد لمضيق باب المندب. واستناداً على الوثائق البريطانية عن سير الحرب في جهة عدن في نهاية ابريل 1915م؛ فقد ذكر التقرير اليومي البريطاني قيام ثلاث سفن حربية بريطانية هي "نورث بروك"، و"بيرث" و"سكوتيا" - ربما بناء على تكلف - بالبحث عن المراكز الدفاعية العثمانية في منطقة "الشيخ سعيد"، فقامت في10 أبريل بتوجيه مدافعها وأطلقت عليها النيران، ولم يشر المصدر إلى النتائج التي تمخضت من عملية القصف، وعن شكل مقاومة تلك المراكز[166]، غير أن قيام ثلاث سفن حربية في تنفيذ العملية هذه على منطقة الشيخ سعيد دون إنزال قوات على البر كما حدث في عملية 9- 10نوفمبر سالفة الذكر؛ يدل على أهمية العملية وجسامتها، ويعكس ما قام

به العثمانيون من تعزيزات واستعدادات عسكرية كبيرة هناك، وغيرها من المراكز العسكرية القريبة من باب المندب[167]. علما أن القيادة العثمانية في اليمن كانت قد أشاعت في وسط اليمنيين منذ فبراير الماضي بأن قواتها أغلقت مضيق باب المندب[168].

وقد أدى استئناف البحرية الانجليزية عملياتها بقصف الشيخ سعيد في10 أبريل إلى ردود فعل قوية من القيادة العثمانية في اليمن ومشايخ لواء تعز، بعد أن تأكد لهم - كما يبدو- مدى فشل مدفعية السفن الانجليزية وحدها في تحطيم التحصينات البرية مهما كان القصف عنيفا من البحر[169]، فقد قامت القيادة العسكرية في صنعاء بعد الحادث بترتيب وتحصين المواقع العثمانية في باب المندب وتعزيزها بالمدافع[170]، وإسناد أمر حماية باب المندب إلى قائمقام قضاء الحجرية الشيخ احمد نعمان[171]، ورجاله المقاتلين من لواء تعز ووجهته بسرعة نقل المدافع بواسطة رجاله عبر الجبال الوعرة إلى منطقة الشيخ سعيد، والقيام باستحداث مواقع في الجبال الخالية المحيطة بباب المندب، وترتيبها بالرجال والمدافع[172].

لعل بريطانيا وجدت نفسها أمام الاستعدادات والتحركات العثمانية في ولاية اليمن، وما يشكله استحداث مراكز عسكرية جديدة على باب المندب وساحل تهامة من خطر على حركة الملاحة في جنوبي البحر الأحمر ومستعمرة عدن ومصالح الحلفاء في القرن الأفريقي، ناهيك عن إمكانية وصول تعزيزات عثمانية عبر الحجاز أو أن حملة جمال باشا بعد فشلها في قناة السويس تتجه برا صوب عدن وباب المندب ؛ الأمر الذي جعل بريطانيا أمام كل تلك التهديدات أن تعمل على دفع دبلوماسيها في عدن لتكثيف الجهود لسرعة التوصل إلى عقد معاهدة تحالف عسكري مع الشريف الإدريسي ليقود ثورة تطرد الحامية العثمانية من لواء عسير ولواء الحديدة، وتقوم بقطع المواصلات البرية المتاحة إلى اليمن لمنع وصول تعزيزات عثمانية إلى الحامية، وتمنع اتصال الحامية بالخارج، وتخلق حالة من عدم الاستقرار داخل اليمن. وبعد مباحثات بين الجانبين تمكنت حكومة عدن بعقد اتفاق تاريخي مع الشريف الإدريسي الذي بموجبها سيلعب دورًا سياسيًا وعسكريًا إلى جانب الانجليز ضد العثمانيين- كما سنرى:-

جـ- المعاهدة الانجليزية مع الشريف الإدريسي في شمال غرب اليمن:

تم التوقيع على المعاهدة في 30 أبريل 1915م، ويعد عقدها في ذلك الوقت انتصارًا للسياسة الانجليزية على العثمانيين في الجزيرة العربية عموما وولاية اليمن على وجه الخصوص، وبداية لثمار المساعي الانجليزية في مفاوضتها لاستمالة الزعامات العربية (الإدريسي، الإمام يحيى، عبد العزيز آل سعود، الشريف حسين) إلى جانبها ضد التواجد العثماني أو الحياد[173] من جهة، وصدهم من تكوين تكتل عربي قد يعيق سياستهم المعروفة بسياسة "فرق تسد" حفاظًا على المصالح البريطانية في عدن والبحر الأحمر حينذاك من جهة أخرى. فلذلك يعد الإدريسي أول زعيم عربي داخل النفوذ العثماني يعقد معاهدة صداقة وتحالف مع بريطانيا خلال الحرب العالمية الأولى[174].

وقد جاءت بنود المعاهدة ""كالتالي[175]:

1. إن هذه المعاهدة التي هي معاهدة صداقة وولاء، قد وقع عليها الماجور جنرال "شو" المعتمد البريطاني في عدن باسم حكومة بريطانيا العظمى، والسيد مصطفى بن السيد عبد الله باسم حضرة السيد محمد علي الإدريسي أمير" صبيا" وأطرافها.
2. القصد من هذه المعاهدة هو إعلان الحرب على الأتراك، وتوطيد عرى الصداقة بين حكومة بريطانيا، والسيد الإدريسي المذكور آنفاً، وأعضاء قبيلته.
3. يتعهد الإدريسي بقتال الأتراك، وأنه سيجتهد لطردهم من مواقعهم في اليمن، وأن يتعقبهم، وأن يوسع أراضيه على حسابهم.
4. عمل الإدريسي الأساسي يتجه ضد الأتراك فقط، ويمتنع عن كل حركة عدائية ضد الإمام يحيى ؛ مادام هذا لا يضع يده في يد الأتراك.
5. تتعهد الحكومة البريطانية بالمحافظة على أراضي السيد الإدريسي، من كل اعتداء يقع من قبل أي عدو كان على السواحل، وضمان استقلاله في أراضيه الخاصة، واستعمال كل الوسائل السياسية عند انتهاء الحرب في سبيل التوفيق بين الإدريسي والإمام يحيى أو أي

خصم آخر.

6. إن الحكومة البريطانية لا تقصد من هذه المعاهدة توسيع أراضيها مستقبلا في غرب الجزيرة العربية، ولكنها تتمنى بصورة واضحة أن ترى رؤساء العرب في حالة سلمية وأخوية، كل منهم في منطقته، وكل منهم موالٍ للحكومة البريطانية.

7. إنه كدليل على تقدير حكومة بريطانيا للأعمال التي سيقوم بها الإدريسي فهي ستعاونه بالمال والسلاح، وتستمر على ذلك طوال الحرب، وستكون هذه المعاونة متناسبة مع ما سيقدمه الإدريسي من أعمال حربية.

8. تسمح الحكومة الانجليزية للإدريسي أثناء الحصار البحري المضروب على سواحل البلاد التابعة لتركيا في البحر الأحمر، أن يتاجر مع عدن وسواحلها، وهي تضمن استمرار هذه الحالة مادامت العلاقات الحسنة موجودة بين الطرفين.

9. تكون هذه المعاهدة نافذة المفعول على إثر موافقة حكومة الهند[176]، وأضيف إلى هذه المعاهدة ملحق بها وفيه منحت السلطات البريطانية جزيرة "فرسان" للإدريسي منعاً لمطالبة إيطاليا بها"[177].

من خلال بنود المعاهدة يتضح الآتي: أن المعاهدة بما نصته بنودها تعد معاهدة تحالف عسكري لكنها مشروطة من قبل الانجليز—كما هو واضح- كون الإدريسي هو الحلقة الأضعف، فهو في نظر بريطانيا من سعى لعقد المعاهدة ومنذ وقت مبكر[178] - كما أشير؛ لأن الإدريسي منذ عقدت الدولة العثمانية وإيطاليا اتفاقية الصلح بينهما بعد حرب طرابلس الغرب[179]، يدرك أن العثمانيين يسعون للقضاء على تمرده، وإخضاع المخلاف السليماني وقبائل عسير لسلطاتهم المباشرة لإيقاف اتصال الإدريسي بالأجانب، وإنهاء سعي سكان تلك المناطق في الحصول على الأسلحة التي يشترونها من أريتريا وشرق إفريقيا ويقومون بتهريبها إلى مختلف البلاد العربية[180].

وكان نديم باشا قد رأس وفدًا دينيًا إلى جيزان لمحاولة التهدئة وعقد صلح بينه وبين الإمام يحيى بتكليف من مجلس شورى الدولة العثمانية بمنحه مميزات وسلطات محلية بمنطقته، على أن "يكون رئيسا على تلك الجهات بماهية كافية شهرية، ويكون تحت طاعة الإمام يحيى، ويترك التعلق بالأجانب والمحاربة لإخوانه المسلمين في اليمن..."[181]؛ لكن طموحات الإدريسي كانت أكبر من ذلك؛ فهو يبحث عن إقامة إمارة صوفية ذات حكم ذاتي معترف بها من قبل العثمانيين[182]، لا حاكما تحت طاعة الإمام؛ لذا فشل التفاوض[183]، وأصدر نديم بذلك منشورًا وضح فيه رفض الإدريسي للنصيحة والصلح[184]، ورغم ذلك فإن نديماً منذ قيام الحرب العالمية الأولى كان يسعى لمحاولة استمالة الإدريسي أو التغلب عليه عسكريا بهدف تأمين الطريق عبر عسير[185]، وربما اضطرت الحكومة العثمانية منذ اندلاع الحرب العالمية؛ ونتيجة لتطورات الأحداث للاعتراف به قائمقام فقط[186] حتى تضمن استمرار تأمين الطريق وتضمن ولاءه للسلطان. لذا وجد الإدريسي أن التطورات التي أحرزها الانجليز عند التصدي لحملة جمال باشا في قناة السويس، وانسحاب القوات العثمانية من صنعاء والمرتفعات الشمالية إلى لواء تعز والحدود (الانجلو- عثمانية)، ومن ثم التوقف هناك دون أي تحرك للاستيلاء على عدن أو السيطرة على باب المندب لأكثر من ثلاثة أشهر- بحسب ما كانت تطلقه من دعاية-، جميعها تصب في صالحه، ورأى أن يكسب الجولة، ويقوم بعقد المعاهدة مع الانجليز؛ معتقدا بأنه بذلك سيوجه ضربة قاسية للإمام يحيى وللحكومة العثمانية في اليمن.

فالذي يمكن ملاحظته هو أن الإدريسي أدرك انشغال الجيش العثماني في الإعداد للزحف على عدن؛ فعدها فرصة للتوقيع على المعاهدة، كما أنه استغل ضعف جبهة العثمانيين في المرتفعات الشمالية وإخلائهم الساحة الشمالية للإمام يحيى؛ فوجد أنه آن الأوان للعثمانيين كذلك أن يخلوا الساحة له، لذلك عد الإدريسي معاهدة التحالف حماية له من ادعاءات الإمام، كما أن الانجليز عدوا المعاهدة مع الإدريسي تعزيزا لحماية عدن من الخلف، وعامل مقلق يمكن أن يعيق من تحرك الجيش العثماني في اتجاه النواحي التسع، ويعمل على إرباك الإمام يحيى فيدفعه للسعي لدى القيادة العثمانية بإقناعها بضرورة انسحاب القوات العثمانية من محمية

الضالع وتعز والعودة لحماية صنعاء والمرتفعات، أو يندفع الإمام لعقد معاهدة مع الانجليز متخليا عن صلح دعان، وقد يعلن الحرب على الجيش العثماني في اليمن، وعدُّ الانجليز المعاهدة وسيلة ضغط أيضا على الإمام ليقوم بسحب قواته التي شاركت القوات العثمانية في الهجوم على الضالع ورداع، بل يمكن القول: إن بريطانيا بعقدها للمعاهدة مع الإدريسي تكون قد حصلت منه على الالتزام في إغلاق طريق عسير البرية الواصل بين ولاية اليمن والباب العالي، وهي آخر المنافذ الآمنة المتاحة التي كانت تحصل منها القيادة في صنعاء على الإمدادات المختلفة، إذ أصبح الجيش العثماني في ولاية اليمن فور تطبيق الإدريسي للمعاهدة محاصراً من معظم الجهات[187]. فحدود المنطقة التي كان يسيطر عليها الإدريسي بحسب ادعائه حينذاك "تمتد من الشمال إلى الجنوب ما بين "البرك"[188] و"حَبل"[189] على التوالي، وكان يطمح أن تمتد توسعاته عشرة أضعاف على ما هو عليه، وذلك عن طريق التوغل داخل عسير شمالاً، والتمدد جنوبا حتى باب المندب.[190]، وقد حاول الإدريسي الاعتماد على ممثلة في تطبيق هذا الطموح نيابة عنه والقيام بتنفيذ المهمة على البحرية البريطانية؛ فمُمثل الإدريسي في عدن- بحسب المصادر الإنجليزية- كان يطلب من الانجليز السيطرة على الشيخ سعيد، والمخا، والحديدة[191]، وهذا أقصى ما طمح إليه الإدريسي عند توقيعه المعاهدة.

وقد اتضح أن المعاهدة حققت عدة نتائج سريعة فور إعلانها، ومعظم تلك النتائج صب في صالح بريطانيا في المقام الأول ناهيك عن النتائج بعيدة الأمد، فمن النتائج السريعة، انقطاع وصول المؤن إلى ولاية اليمن عبر عسير، حتى إنه لم يكن أمام القوات العثمانية في اليمن إلا الطريق الصحراوي الطويل عبر نجد والحجاز، مما أدى إلى التسبب في الضغط على اليمنيين في لواء تعز عبر مطالبة العثمانيين للسكان بزيادة تقديم الدعم والمؤن[192]، وقد يستخدم العثمانيون القوة ضد من يمتنع؛ بل وصل الأمر إلى مصادرة أموال من يرفض ذلك، كما حدث للشيخ الشهاري في قضاء إب[193].

ومن أهم النتائج المتوقعة من توقيع المعاهدة بين الانجليز والإدريسي فضلاً عما سبق هي قيام الإمام يحيى بسحب أتباعه المشاركين للقوات العثمانية في الضالع والنادرة ورداع على حدود النواحي التسع في الجنوب بقيادة سيف الإسلام أحمد بن القاسم حميد الدين وغيره إلى المناطق الغربية في عمران، وأنس، وكوكبان وغيرها والقريبة من مناطق نفوذ الإدريسي[194]، بل إن الإمام أشرك أتباعه إلى جانب القوات العثمانية المعسكرة في المناطق القريبة من تطلعات منافسه الإدريسي، وزيادة على ذلك عمل الإمام على إمداد القوات العثمانية وأتباعه هناك بالسلع والمؤن[195].

وكانت القوات العثمانية المتمركزة في الجبهة الشمالية الغربية المتاخمة لنفوذ الإدريسي، تتكون من سبعة ألوية مسلحة بالمدافع والبنادق، بينما كانت إمكانية الإدريسي من الجنود والأسلحة تتمثل في خمسة مدافع إيطالية وثلاثة آلاف بندق "موزر" وأربعة آلاف بندق "ليجرا"، غير أنها تفتقر للذخيرة، وكان يصل عدد رجاله إلى حوالي ثلاثة آلاف مقاتل، وجميع تلك الإمكانات لا يمكن الاعتماد عليها لمهاجمة العثمانيين في صنعاء حتى يضطر جيش علي سعيد باشا إلى التراجع من تعز والحدود والدفاع عنها، وإنما تكفي لأن تتوزع ثلثاً في الجبهة الشمالية وثلثين على الجبهة الجنوبية[196]، على اعتبار أن معاهدة الانجليز المشروطة مع الإدريسي في ابريل 1915م، كان من أهدافها في تلك المرحلة هو مضايقة العثمانيين، وتنفيذ حصار بري على القوات العثمانية من الجهة الشمالية الغربية، ومساعدة الانجليز في استكمال الحصار البحري الخانق في السواحل اليمنية على البحر الأحمر لمنع الإمداد عنهم، وإزعاجهم في مناطقه، معتمدا في ذلك على المساعدة البريطانية من البحر[197]، وربما لتسهيل خطط السيطرة على الجزر اليمنية والتحكم بالفنارات ومضيق باب المندب.

وقد ظهر جدال في أروقة السياسة البريطانية على بعض بنود الاتفاق مع الإدريسي في 30 ابريل، منها البند السادس الذي ينص على عدم سعي بريطانيا توسيع نفوذها في الجزيرة العربية، إذ ظهرت مطالبة بضرورة أن تنص المعاهدة على أن تشمل نفوذ

بريطانيا غرب الجزيرة، بهدف ضم منطقة الشيخ سعيد لحماية مصالحهم في البحر الأحمر بعد انتهاء الحرب، وقد ذكرت بعض الدراسات أن بريطانيا فعلا عدلت الاتفاقية بذلك، ولم تنشر بريطانيا النص المصحح مع الإدريسي إلا عام1930م؛ إذ عدت ذلك من ضمن النصوص السرية[198].

وكان البند الخاص بالدعم البريطاني المشروط لتوسع الإدريسي - فيما يبدو- هو الأكثر إغراء والدافع القوي لقبوله التوقيع والبدء بتنفيذ الاتفاق على الأرض؛ فهو بذلك سيرث العثمانيين في اليمن، ورغم أن من شروط بريطانيا في المعاهدة هو أن يبدأ الإدريسي أولا بتنفيذ البند الخاص بالهجوم على القوات العثمانية مقابل مساعدته بالمال والذخيرة، إلا إن بريطانيا تحركت قبل أن يبدأ الإدريسي بأي عمل على الأرض، وذلك عندما قامت البحرية البريطانية بمحاولة مهاجمة قوات عثمانية على الضاحية الشمالية الغربية للحديدة، وذكرت بعض المصادر أن الانجليز فعلا دفعوا للإدريسي معونة 25 ألف ريبة وسلاح بـ 30 ألف ريبة بعد ذلك فور بدء تحرك قواته على الأرض[199].

وسنلاحظ في المبحث الرابع كيف أصبحت المعاهدة الانجليزية مع الشريف الإدريسي أداة تحول تاريخي لصالح بريطانيا؛ إذ أصبحت منفذًا يسمح لسفنها الحربية في التواجد على ساحل عسير والمخلاف وشمال تهامة بطلب محلي؟ وكيف قامت البحرية بحماية حليفها الإدريسي ومساعدته على مهاجمة الحامية العثمانية في منطقته؟ وكيف عززت بريطانيا تواجدها باحتلال الجزر اليمنية في البحر الأحمر؟ وكيف تمكنت بكل ذلك من استكمال فرض حصارٍ بحريٍ وبريٍ خانقٍ على الحامية العثمانية داخل اليمن؟

المبحث الرابع:

الاحتلال البريطاني للجزر اليمنية في البحر الأحمر وقصف موانئ تهامة والمخلاف لدعم الإدريسي لفرض حصار بري على العثمانيين داخل اليمن.

أ- عملية احتلال البحرية الانجليزية للجزر اليمنية في البحر الأحمر:

لقد كان مجرد التفكير من قبل البحرية الانجليزية أو المقيم السياسي في عدن بمسألة احتلال الجزر والموانئ العثمانية في اليمن أمرًا يقابل بالرفض من قبل نائب الملك البريطاني قبل عقد المعاهدة مع الإدريسي في 30 أبريل 1915م، عملا بسياسة تجنب إثارة القبائل العربية على زعامتها ولاسيما قبائل عسير على الإدريسي، وحتى لا يستغلها العثمانيون في تهييج العرب ضد بريطانيا الطامعة بأرضهم - كما أشير-؛ فقد استجدت أمور كثيرة عند المقيم في عدن وحكومة الهند حول التعاون مع الإدريسي بعد التوقيع على المعاهدة، منها حماية الإدريسي من أي هجوم عثماني، وكذا منع الأطماع الايطالية في حال دخولها الحرب إلى جانب الحلفاء، ومنها كذلك التشديد في عملية المراقبة على الموانئ العثمانية في اليمن، علاوة على التحضير لعمليات احتلال الحديدة واللحية وغيرها من المدن الساحلية من يد القوات العثمانية[200] ودعمًا حربيًا ولوجيستيا لتمدد قوات الإدريسي برا في المخلاف وتهامة وعسير؛ كل ذلك جعل الانجليز يدركون أهمية احتلال الجزر اليمنية في البحر الأحمر، وجعلها مراكز سيطرة جديدة وإمداد لإنجاح تنفيذ بنود المعاهدة، لذلك سعت حكومة عدن فور المصادقة على المعاهدة بإرسال تقاريرها المقنعة بأهمية احتلال الجزر، وطالبت الحكومة البريطانية بسرعة إعطائها الإذن ليسمح لها بتكليف الإمارة البحرية في السيطرة على الجزر اليمنية.

وهنا أقتبس فقرة مما نشرته الوثائق البريطانية للاطلاع على مستوى المبررات التي طرحها الانجليز في تقاريرهم للقيام باحتلال هذه الجزر خلال شهر مايو ومطلع شهر يونيه 1915م، فقد جاء في برقية من المقيم البريطاني في عدن إلى كل من حكومة الهند، ورئيس هيئة الأركان العامة للجيش الهندي في 28 مايو بشأن الجزر اليمنية في البحر الأحمر، "إن الاستيلاء على جزيرة "كمران" يعد من الناحية السياسية والاستراتيجية عملاً جيداً ومفيداً، باعتبارها قاعدة يمكن من خلالها السيطرة على ميناء "الحديدة" من جهة، و من أجل متطلبات حركة سفر الحجاج وغير ذلك من جهة أخرى. أما جزيرة "فرسان" فإنها الآن تحت سيطرة الإدريسي، ومن الممكن الاستيلاء عليها وتفسير عملنا

ذلك للإدريسي بأنه إجراء مؤقت، ويفضل الاستيلاء عليها بعد احتلال جزيرة "كمرآن" حتى يتم إبلاغ إيطاليا أن جزر "فرسان" في يد حاكم تحت الحماية البريطانية"[201].

وعلى الرغم من أن حكومة الهند كانت قد اقترحت على الخارجية البريطانية التفاهم مع إيطاليا؛ إلا أن الخارجية في لندن رفضت، مبررة رفضها بعلمها بأطماع إيطاليا القديمة بالجزيرة العربية[202]، وخشيتها من استغلال الايطاليين الأمر للابتزاز وفرض الشروط، وكذلك خشيتها من أي اتفاق بين بريطانيا وإيطاليا حول الجزر أن يثير حنق فرنسا، وأمام ذلك كله لم يجد نائب الملك في 6 يونيه خياراً آخر إلا إصدار التعليمات إلى القائد العام في عدن باحتلال جزر البحر الأحمر فورا؛ فأبحرت السفينة الحربية "أمبري أوف رشيا" لبدأ تنفيذ عمليات الاحتلال في يوم 7 يونيه 1915م من ميناء عدن في اتجاه البحر الأحمر، وعلى متنها 15مدفعًا ميدانيًا، وفصيلتان من كتيبة بريكنوشير الأولى من رجال حدود جنوب ويلز، وشعبتان من رجال المدفعية رقم 450 من كتيبة بريكنوشير، وثلاث سرايا من لواء المشاة 109، وبعض الأطباء[203].

وفي يوم 8 يونيه تمكنت السفينة "رشيا" من إنزال قوة إلى جزيرة "حنيش الكبرى"[204]؛ مكونة من 45 جنديًا من لواء المشاة 109بقيادة ضابط هندي، إلى جانب رجال المدفعية المكنيكية رقم 450، وفي وقت متأخر من اليوم نفسه تمكن عدد مماثل من القوات من النزول والسيطرة على جزيرة "زقر"[205] ورفعوا العلم الانجليزي على الجبل، وفي اليوم التالي أنزلت السفينة مجموعة من جنود اللواء 109مشاة بقيادة الميجور فيلوز(Major Fellows) فتمكنوا بأسلحتهم من اكتساح جزيرة "كمرآن"، وبعد يومين أصبحت "كمرآن" تحت الاحتلال البريطاني بعد أن تم القبض على هيئة محطة الحجر الصحي العثمانية هناك، وتمكن بقية الجنود الموجودين على ظهر السفينة الحربية من النزول بسلام، وإنزال إمدادات تموينية تكفي لمدة شهر فقط. وقد عين الميجور فليوز قائداً للإدارة العسكرية المؤقتة في "كمرآن". كما عين الطبيب "ريتشارد سون" نائب القنصل السابق في الحديدة ضابطاً سياسيًا ومديرا للبوليس والخزانة والجمارك في "كمرآن"، وبعد أن أكمل احتلال الجزر أرسل الميجر فليوز أسرى هيئة محطة الحجر الصحي العثمانية إلى عدن[206].

أما جزيرة "فرسان" فكان المقيم السياسي في عدن قد أرسل إلى الإدريسي بالعلم البريطاني في 29 مايو 1915م، واقترح عليه رفعه في "فرسان" المسيطر عليها في وقت سابق حماية له من العثمانيين وايطاليا، أو إعادته إذا عارض الاقتراح؛ لكن الإدريسي لم يعمل بالمقترحين، واكتفى بما وقعه في المعاهدة مع بريطانيا وما فيها من بنود تجعل بريطانيا تحميه من هجوم أي دولة[207]؛ فقد كان الإدريسي يعد رفع العلم البريطاني لعنة عليه، ويخشى من العثمانيين إذا ما سويت أمورهم مع بريطانيا في المستقبل من اتهامه بأنه باع الجزر، فهو يفضل أن يظل في نظر حكومة صنعاء(العثمانية) شخصا متمردا[208].

أ- قصف البحرية البريطانية للصليف في 9-10يونيه.

قامت السفينتان الانجليزيتان "أمبري أوف رشيا" و"أمبرس أوف جابان" يوم 9-10يونيه بقصف مدينة "الصليف"، وكانت السفينة الحربية" رشيا" بعد أن تمكنت من احتلال جزيرة "كمرآن" و "حُنيش" و "زُقَر" قد قامت بالتقدم إلى ساحل "الصليف" من أجل إنزال الجنود لمهاجمة المواقع العثمانية هناك؛ بهدف البحث عن مواقع المدافع العثمانية التي يعتقد بأنها ستعيق الملاحة هناك، والقيام بتخليص ستة من الرعايا البريطانيين من سجن العثمانيين، وعندما رفض القائد العثماني الاستسلام قامت بفتح نيران المدفعية كغطاء للإنزال؛ لكن مقاومة العثمانيين- كما يبدو- أعاقت عملية الإنزال، الأمر الذي جعل السفينة "أمبري أوف رشيا" تستعين بالسفينة "أمبرس أوف جابان" فقامتا بتوجيه قصفٍ مدفعيٍ مشتركٍ محاولة للإنزال، ورغم شدة القصف لم تحقق السفينتان أيًا من الهدفين، سوى إلحاق الخراب بمدينة الصليف وحصنها؛ عندئذ انسحبت السفينتان، لمساعدة الإدريسي في الهجوم المرتقب على اللحية[209].

جـ- قصف البحرية الانجليزية ميناء اللحية في 10- 11 يونيه 1915م.

وجهت كل من السفينة الحربية "منتو" والسفينة أمبري أوف رشيا" نيران مدافعهما على اللحية، مما لحق بالميناء والمدينة والبضائع التجارية أضرار جسيمة أستنكرها الإدريسي نفسه، وكان مبرر القصف الانجليزي للحية المعلن هو دعم الهجوم الإدريسي الوشيك على اللحية[210]، لكن الهدف الخفي لقصف ميناء اللحية في ذلك الوقت- فيما يبدو- هو إشغال القوات العثمانية في لواء الحديدة بناء على خطة لاحتلال القوات البريطانية للجزر اليمنية في البحر الأحمر وعلى وجه التحديد جزيرة "كمرآن"، "كما كان القصد منه تهدئة السيد الإدريسي ومن ثم استرضاؤه، بعد أن جعل نفسه حليفًا...لبريطانيا في شهر ابريل 1915م، كما قصد به حمل الأتراك على الارتياب بوجود انقسام ضدهم في الجبهة الأمامية"[211]، بل ويبدو إشعار العثمانيين بأنهم مهددون من الخلف وأن التفوق البحري البريطاني أصبح بإمكانه قصف المراكز العثمانية على ساحل البحر الأحمر، والسيطرة عليها ومن ثم دعم الإدريسي للتوغل في اتجاه صنعاء، مما يجعل حكومة صنعاء تتراجع عن الزحف على النواحي التسع ومحمية عدن، وربما يقود العثمانيين في اليمن قبل الوقوع في الحصار إلى طلب التسوية مع الانجليز.

وكانت حكومة عدن قد أرسلت السفينة الحربية الانجليزية "منتو" في أوائل شهر يونيه 1915م، للجنوح أمام ميناء "اللحية" في انتظار وصول قوات الإدريسي المهاجمة للمدينة لتقوم بمساعدة قواته في الهجوم من البحر- بحسب زعمهم-؛ حيث كان حاكم عدن القائد العام للواء عدن قد رأى، "أن أفضل ما يساعد به الإدريسي هو قصف مواقع المدافع التركية". وبينما كانت السفينة "منتو" مجنحة أمام المدينة تعرضت لقصف شديد من المدافع العثمانية، فاضطرت السفينة الحربية "رشيا" التي احتلت الجزر اليمنية في تلك الأثناء، وقامت بتوجيه قصفها على ميناء "الصليف" إلى مساعدة السفينة "منتو" في توجيه القصف لمدينة "اللحية" خلال يومي 10- 11 يونيه؛ ونتيجة لذلك اشتعلت النيران في المدينة واحترق جزء من الميناء، وفي مساء اليوم الأخير استأنفت السفينة الحربية "رشيا" قصفها للمدينة التي يعتقد أنها مواقع عسكرية عثمانية، كانت قد حددتها بحارة الزوارق الشراعية الخاصة بالإدريسي، وبسبب هذا القصف أيضا اشتعلت النيران في مستودع للزيت، ونتيجة لاشتعال المدينة وما أصابها من خراب عادت السفينة "رشيا" إلى "كمرآن" دون أن تصل قوات الإدريسي المهاجمة إلى اللحية - كما اعتقد الانجليز[212].

وذكرت بعض المصادر أن الإدريسي نفسه استنكر ما لحق باللحية من دمار؛ إذ كتب للإنجليز يقول: "إن الضرر الذي لحق بالمدينة العربية "اللحية"؛ قد آلم رجاله وأزعجهم"[213]، وهذا تعبير يفيد بأن الإدريسي كان يرغب أن يتوجه القصف على المواقع العسكرية العثمانية فقط، لكن يبدو حدث العكس. كما أحدث قصف البوارج البريطانية للصليف واللحية واحتلالها للجزر العثمانية في اليمن ردة فعل قوية من القيادة العثمانية في اليمن، وكذا من اليمنيين داخل الولاية وعلى وجه الخصوص أبناء لواء تعز؛ حيث أثار غضب اليمنيين عموما واستغلته القيادة العثمانية في تحشيد اليمنيين للجهاد لطرد الانجليز من عدن، فقامت المدفعية العثمانية بقصف الانجليز في جزيرة بريم في باب المندب ومحاولة السيطرة عليها-كما سيأتي.

د- القصف المدفعي العثماني لجزيرة "بريم" ومحاولة السيطرة على مضيق باب المندب:

قامت المدفعية العثمانية المتمركزة في جبل "الشيخ سعيد" المطل على باب المندب بقصف جزيرة بريم عند الساعة السادسة من مساء يوم 13 يونيه 1915م، وكان العثمانيون- بحسب المصادر البريطانية- قد تمكنوا من إيصال مدافع كبيرة إلى منطقة "الشيخ سعيد" دون علم الانجليز[214]، وكان الشيخ أحمد نعمان قائمقام الحجرية ورجاله قد تكفلوا - كما أشير من قبل- في نقل المدافع وسط التضاريس الوعرة على ظهورهم إلى منطقة "الشيخ سعيد" والجبال المحطة، ومشاركة القوات العثمانية المتمترسة لحماية المواقع واستعدادا للسيطرة على باب المندب[215]، بقيادة "رؤوف بك" الذي كان يقود فرقة باب المندب العثمانية[216].

وقد تمكن القصف المدفعي العثماني من تخريب الفنار الوحيد في "بريم" بالرغم من إرسال حكومة عدن الطراد الحربي "نورث بروك" للدفاع

عن الجزيرة، من وقت مبكر، وقيام السفينة الحربية البريطانية "أمبرس أوف جابان" في تلك الأثناء بقصف مواقع المدفعية العثمانية؛ لكن- يبدو- أن العملية البحرية الانجليزية تلك كانت غير مجدية لشدة التحصينات، وعدم قدرتها على منع العثمانيين من محاولة تكرار الهجوم على الجزيرة أكثر من مرة[217]، إذ إنه في اليوم التالي استطاع الجيش العثماني- بحسب مصادر انجليزية- تحت غطاء القصف المدفعي الهجوم على جزيرة ميون، ومن ثم التوغل إلى داخل الجزيرة لمحاولة السيطرة عليها، غير أن ثبات قوات الفرقة 23 من الرواد السيخ الانجليزية المرابطة في الجزيرة في وجه الهجوم[218]، بقيادة الكابتن "هتشنسون" وبمساعدة السفينة الحربية "أمبرس أوف جابان"[219]، حال دون سيطرة العثمانيين على الجزيرة[220].

وقد لا يكون انكسار القوات العثمانية وهزيمتها لثبات الفرقة 23 والسفينة "جابان" فقط، بل لتواطؤ "رؤوف بك" قائد فرقة باب المندب العثمانية الذي أمر بإيقاف نيران القصف المدفعي على "بريم"[221] التي كان بمقدورها - بحسب التكتيك العسكري- أن تحمي المهاجمين وتسهل عملية الاقتحام والتوغل، وهذا ما أثبتته الوثائق البريطانية نفسها بعد ذلك، حيث أشارت إلى أن المدافع العثمانية في الأيام التالية سكتت، وأرجعت سبب ذلك إلى نفاذ ذخيرة المدفع العثماني الكبير[222]. ونتيجة لفشل القوات العثمانية المرابطة في منطقة "الشيخ سعيد" من السيطرة على باب المندب، قامت القيادة العثمانية في اليمن بتعيين رفعت بك قائداً لفرقة باب المندب، وفور تعينه أمرت بعزل الرائد رؤوف بك، الذي أرسل مهاناً من "الشيخ سعيد" إلى مدينة تعز[223].

وعلى الرغم مما لحق بالقوات العثمانية من هزيمة في معركة باب المندب إلا أن القيادة العثمانية في اليمن استغلت هذه الحادثة، وقيام الانجليز باحتلال الجزر اليمنية، وعملية قصفهم لميناء "اللحية" - كما أشير- مبررًا لتهييج القوات العثمانية المرابطة على حدود النواحي التسع من جهة، وتهييج اليمنيين في لواء تعز في الهجوم على الانجليز في محمية عدن من جهة أخرى، وربما هدفت القيادة العثمانية في اليمن من هذه التحركات إلى محاولة إحداث ضغط يدفع الانجليز إلى فك الحصار البحري المفروض على ولاية اليمن.

الخاتمة والتوصيات:

بعد استكمال البحث بمباحثه الأربعة يمكننا استخلاص النتائج التالية:

- وجد أن بريطانيا قامت بتحركات عسكرية بحرية واقتصادية وسياسية استباقية فور إعلان الدولة العثمانية دخولها الحرب العالمية الأولى إلى جانب دول المحور في 30 أكتوبر 1914م، تمكنت خلال سبعة أشهر من كبح خطر الوجود العثماني في ولاية اليمن على المصالح البريطانية والحلفاء في المنطقة، إذ أنهت الوجود العثماني في البحر الأحمر، بل نجحت في إحكام حصارها البحري على العثمانيين في اليمن والجزيرة العربية عموما، ونجحت في جذب بعض القوى المحلية لجانبها، والتحالف مع بعضهم الآخر لخلق جبهة داخلية، فقامت بشن هجمات على الجيش العثماني في القطاع الشمالي الغربي من اليمن بقيادة الشريف الإدريسي، ونجح بمساعدة البحرية الانجليزية من حصار الحامية العثمانية برا.

- تبين أن اليمن أصبحت مسرحا للصراع العسكري والسياسي بين البريطانيين والعثمانيين بمجرد إعلان الدولة العثمانية دخولها الحرب؛ نتيجة موقع اليمن الاستراتيجي المطل على مضيق باب المندب احد أهم الممرات المائية العالمية واحد بؤر التنافس الدولي على مر العصور، على اعتبار أن العثمانيين والانجليز كانا قد وقعا على اقتسام اليمن بينهما قبيل اندلاع الحرب؛ فحكم العثمانيون الشمال؛ وعرفت بولاية اليمن، وحكم الانجليز جنوب اليمن، وعرفت بعدن والمحميات الانجليزية.

- إن العثمانيين وحلفاءهم الألمان كانوا يعدون في مخططهم الساحة اليمنية نقطة يمكن من خلالها السيطرة على باب المندب وإغلاقه أمام سفن دول الحلفاء، وقطع الإمدادات العسكرية بين المستعمرات في الشرق ومناطق الصراع في الشرق الأوسط وغرب أوربا، ويعدون ارض اليمن نقطة انطلاق للتوسع والسيطرة على القرن والشرق الإفريقي لإنهاء الاستعمار البريطاني والفرنسي هناك، فأدركت بريطانيا أهمية الموقع الاستراتيجي لليمن وما يمثله تموضع القوات العثمانية هناك من أخطار على مجرى الصراع.

- اتضح أن الانجليز- نتيجة لتلك المخاطر- سارعوا بتحركاتهم الاستباقية والتي أخذت شكلا مرحليا ومتداخلا لإفشال أي استعدادات مضادة، فقد اتضح إن القوات البريطانية بعد أيام قليلة من إعلان العثمانيين الدخول في الحرب قامت بتحركات بحرية نشطة لتأمين حركة الملاحة في البحر الأحمر وقناة السويس وباب المندب منها: منع سفن دول المحور من الإبحار، والتضييق على السفن العثمانية داخل مياه البحر الأحمر؛ منها السواحل اليمنية. وأن القوات العثمانية في اليمن معظمها كانت قوات برية مع نسبة بسيطة من قوات الدفاع الساحلي مع شبه انعدام امتلاكها قوات بحرية باستثناء بعض سفن النقل والزوارق الحربية، بينما الدولة العثمانية عمومًا دخلت الحرب العالمية وهي لا تمتلك قوة جوية تذكر بعكس بريطانيا.

- تبين كذلك أن البحرية الانجليزية منذ الشهر الأول لدخول العثمانيين الحرب قامت بعمليات استباقية موجهة فضربت المراكز الدفاعية العثمانية في منطقة الشيخ سعيد الحصينة والمطلة على مضيق باب المندب لتأمين خطوط الإمدادات العسكرية القادمة من الهند إلى جبهة الحرب في السويس وغرب أوربا، ونتيجة لضخامة تلك العملية استغلها العثمانيون لإثارة حفيظة اليمنيين بوصف العملية دليلاً يبرهن سلوك بريطانيا الاستعماري الطامع في احتلال بقية بلاد العرب، فحدثت ردة فعل ساخطة من اليمنيين ضد الأطماع البريطانية على بلادهم معلنين تعاطفهم ووقوفهم إلى جانب القيادة العثمانية في صنعاء، الأمر الذي دفع بالإمام يحيى لإرسال مبعوثه إلى عدن للتعبير عن استنكاره، ويعلن موقفه الحيادي من الحرب، بالرغم من طمأنة الانجليز كل العرب بأنهم لا يطمعون في التوسع في بلادهم.

- اتضح أن الانجليز استمروا بتحركاتهم الاستباقية لاستكمال تأمين خطوط الملاحة، فقاموا بالسيطرة على الفنارات العثمانية المنتشرة على الجزر والسواحل اليمنية، ومن ثم صدرت التوجيهات للبحرية البريطانية بالتحرك لفرض حصار اقتصادي مطبق على الموانئ اليمنية الخاضعة للعثمانيين، فقامت القطع الحربية بمهاجمة الزوارق والسفن التجارية والنقل اليمنية ومنعها من التنقل والتجوال والصيد ونقل السلع والبضائع بين الموانئ من اليمن وإليها، وكثيرا ما حدث من مصادرة مراكب التهريب، مما أدى إلى حدوث أزمة اقتصادية تضررت منها الحركة التجارية وتعرض معظم تجار الموانئ للإفلاس لما أصاب التجارة من كساد؛ نتيجة توقف عملية الاستيراد والتصدير، ونزوح قطاع كبير من السكان والعمال والبحارة وغيرهم من الموانئ وسواحل تهامة هروبا من البطالة والجوع وتفاقم الفقر نحو الداخل.

- وجد أن الانجليز سعوا عبر تحركات سياسية ودبلوماسية مرافقة لتحركات فرض الحصار إلى محاولة إثبات حسن النية تجاه مستقبل زعامات العرب بعد انتهاء الحرب في حال تحالفهم مع التاج البريطاني، وفعلا نجح الانجليز في جذب بعض زعامات القوى المحلية اليمنية في الولاية إلى جانبها بعقدها تحالفات تدفعهم للتمرد على العثمانيين وطردهم من اليمن، حيث تبين أن الانجليز حققوا نجاحاً مقبولاً في استمرار تمسك الإمام يحيى بحياديته في المناطق الشمالية الزيدية، بينما فشل تحالفهم مع محمد بن ناصر مقبل أبرز مشايخ لواء تعز في جنوب الولاية بتنكره للاتفاق المبرم مع الانجليز نتيجة اختلال ميزان القوى داخل الساحة اليمنية لصالح العثمانيين بزحف الجيش من صنعاء وسيطرته على محمية الضالع، والانتشار على مراكز حدود بقية المحمية الغربية واصطفاف أهالي جنوب الولاية في لواء تعز إلى جانب العثمانيين.

- اتضح أن التحرك السياسي الانجليزي حقق انتصارا دبلوماسيا بعقده معاهدة تحالف مع الشريف الإدريسي المتمرد على السلطات في صنعاء، والمتنفذ في لواء عسير والمخلاف السليماني شمال غرب ولاية اليمن. وهو الاتفاق الذي سيتمكن به الانجليز عبر الإدريسي من قطع الطريق البري الرابط بين القيادة العثمانية في اليمن وولاية الحجاز والباب العالي في اسطنبول، كما أصبح تمرد الإدريسي مصدر خطرٍ على القوات العثمانية المتمركزة في عسير والمخلاف وساحل تهامة اليمن.

- تبين أن التحالف الانجليزي- الإدريسي كان عبارة عن استكمال

لخطة بريطانية لفرض حصار مطبق على القوات العثمانية داخل ولاية اليمن من جميع الجهات برا وبحرا، معززا بدعم البحرية الانجليزية لعمليات الإدريسي العسكرية التوسعية، وتهيئة لتمكن احتلال القوات البريطانية للجزر اليمنية في البحر الأحمر التي بها شكلت طوقًا زاد من فرض الحصار وتأمين حركة الملاحة وحماية مضيق باب المندب.

- أتضح أن بريطانيا تمكنت بمجموعة تحركات استباقية من تحقيق تفوقٍ بحريٍ وسياسيٍ عمِلا على كبح الخطر العثماني في اليمن بمدة محدودة لا تتجاوز سبعة الأشهر الأولى من اندلاع الحرب، الأمر الذي أصبح مع ما تحقق للإنجليز من تفوق بحري في قناة السويس على حملات جمال باشا في صالح مستقبل بريطانيا ودول الحلفاء بعد ذلك في المنطقة.

وبعد انقضاء مراحل إعداد البحث وجد الباحث ضرورة طرح بعض المقترحات لرفعها **كتوصيات** منها:

1. حث المركز الوطني للوثائق ومراكز البحوث التاريخية العمل على جمع وتوفير الوثائق المحلية والأجنبية البريطانية والفرنسية والألمانية الخاصة بتاريخ اليمن أثناء الحرب العالمية الأولى وعلى وجه الخصوص الوثائق العثمانية لندرة ما يتوفر منها حتى الآن، وتمكين الباحثين من الاطلاع عليها بيسر وسهولة لأهميتها؛ إذ لا تاريخ بدون وثائق.

2. حث دار الكتب والمخطوطات والمكتبات الحكومية والأهلية على اقتناء المصادر التاريخية المخطوطة والمطبوعة المتعلقة بتاريخ اليمن إبان الحرب العالمية الأولى.

الهوامش:

(1) ماكرو؛ اريك: اليمن والغرب 1571- 1962م، ترجمه: د.حسين العمري، دمشق، دار الفكر، ط 1987م، ص49- 81.؛ الحجار؛ محمد صبحي: الصراع على البحر الأحمر: حقبة ما قبل 1980م، اطلع عليه في 10/ 12/ 2014م، http://www.lebarmy.gov.lb/ar/news/?32243#.VIiKndKsX0Q

(2) صبري؛ محمد: مصر في أفريقيا الشرقية "هرر" و"زيلع" و"بربرة"، القاهرة، مطبعة مصر، ط1939م، ص17.؛ العتابي؛ عبد الزهرة شلش: الجغرافية السياسية لمضيق باب المندب، *مجلة كلية التربية الاساسية*، الجامعة المستنصرية، ملحق العدد52، عام 2008م، من ص205- 234، نسخة الالكترونية pdf محملة من موقع Google محفوظة لدا الباحث، ص209.

(3) بريم" كما يسميها الاجانب، أو "ميون" كما يسميها العرب. هي جزيرة تقع في أضيق جزء في مضيق باب المندب بعيدة عن عدن بحوالي 96 ميلا، وتبعد حوالي ميل ونصف الميل من الساحل اليمني و11 ميلا عن الساحل الإفريقي. وتبلغ مساحتها حوالي خمسة أميال مربع، وبها ثغر صالح للملاحة. وتعتمد جزيرة "بريم" في كل احتياجاتها على عدن والساحلين العربي والإفريقي. وأعلى نقطة في الجزيرة تعلو عن سطح البحر بحوالي 214 قدماً، حيث أقيم فيها فنار لإرشاد السفن. والجزيرة تقسم مضيق باب المندب إلى ممرين: الشرقي ويسمى باب الاسكندر والممر الغربي يسمى ممر ميون؛ فالممر الشرقي يقع على امتداد الساحل اليمني وهو الأضيق، إذ يبلغ عرضه حوالي 3 كيلو متر، وعمقه حوالي 26 متر. أما الممر الغربي يقع على امتداد الساحل الجيبوتي في إفريقيا، وهو الممر الرئيسي يبلغ اتساعه حوالي 16 كيلو مترًا، وعمقه نحو 300 مترًا. يُنظر(العتابي: نفس مرجع، ص211- 215.؛ العاصمي: ثامر عبد الله: "جزيرة ميون" الأهمية الاستراتيجية للمكان والقيمة الحضارية للزمان، ج4، *المؤتمر العلمي الأول* الذي أقامته جامعة تعز ومؤسسة السعيد بعنوان "تعز"(عاصمة اليمن الثقافية) من25- 27مايو2009م.؛ طه؛ جاد: سياسة بريطانيا في جنوب الجزيرة العربية، دار الفكر العربي، ط2، ص17.؛ جرجس؛ أجيه يونان: البحر الأحمر ومضايقه بين الحق العربي والصراع العالمي، القاهرة، مكتبة غريب، ط 1978، ص17).

(4) ماكرو: المرجع السابق، ص80- 81.؛ أباظة؛ فاروق عثمان: البحر الأحمر وقناة السويس، نسخة Word محملة من موقع Google اقتبس في 11/ 10/ 2013م، من على الرابط:http://www.attarikh-alarabi.ma/Html/adad27partie7.htm، ص7.

(5) أباظة؛ فاروق عثمان: الحكم العثماني في اليمن 1872- 1918م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1986م ص46.؛ صابان؛ سهيل: الجزيرة العربية –بحوث ودراسات من الوثائق العثمانية- ، الرياض، مطبوعات مكتبة الملك فهد، ط2005م، ص198- 199.

(6) صابان: نفس المرجع، ص198- 199.

(7) صبري: المرجع السابق، ص 14- 15.

(8) المرجع السابق، ص198- 208.

(9) منطقة الشيخ سعيد: منطقة جبلية وموقع حصين يطل على مضيق باب المندب في اليمن، ذكر إبراهيم المقحفي بأن الجبل بارتفاع 3000ألف متر عن سطح البحر(معجم بلدان اليمن، ج1، صنعاء، دار الكلمة 2002م، ص887) بينما يذكر عبد الواسع الواسعي بأنه يرتفع 200 متر(تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن. صنعاء، مكتبة اليمن الكبرى، ط2، 1991م، ص91)، والعتابي يفيد بأنه على ارتفاع 18 متر فقط. (الجغرافية السياسية لباب المندب، ص213)، وكان يمر فيها خط البرق العثماني من صنعاء إلى جزيرة بريم. لا يتوفر بها ميناء طبيعي ولا يوجد بها مركز تجاري. كما ان مياه الشرب تميل إلى الملوحة، فكان الجنود العثمانيون ينقلون المياه بواسطة الدواب، وتعد المنطقة ذو خطورة استراتيجية فهي ذا موقع دفاعي طبيعي خاصة في حال إذا حصنت بشكل قوي ووفرة المياه العذبة يصعب على أي قوى طامعة السيطرة والبقاء في جزيرة بريم.(أباظة؛ فاروق عثمان: عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر 1839- 1918م، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1987م، ص635)، عن تقرير ولتون أركان قوة عدن 1916م الذي نصح الانجليز بالسيطرة عليه، ومنع أي قوة أخرى تحتلها، ونتيجة لتلك الأهمية كانت منطقة الشيخ سعيد محل تنافس دولي منذ شق قناة السويس، للمزيد حول

منطقة الشيخ سعيد أنظر: (الواسعي: نفس المصدر، ص89- 93.؛ العتابي: نفس المرجع، ص211- 215).

(10) وثائق النعمان المصورة مايكرو فيلم في الجامعة الأمريكية في بيروت، والمحفوظة في مركز الدراسات العربية والإسلامية (R.M.M)- مدينة ايكس- فرنسا، ملف (24) بعض أعداد *صحيفة الأهرام* وغيرها لعام 1938- 1939م، اسطوانة إلكترونية1، لوحة 551- 562.

(11) ماكرو: المرجع السابق، ص81.

(12) صبري: المرجع السابق، ص17.

(13) صبري: نفس المرجع، ص 49 - 53.؛ العتابي: المرجع السابق، ص208- 209.

(14) ماكرو: المرجع السابق، ص81.

(15) الجمل؛ شوقي وعبد الله عبد الرزاق: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، الرياض، دار الزهراء، ط2002م، ص171- 204.؛ اليمن ودول القرن الأفريقي: *وكالة الأنباء اليمنية سبأ*، ط 2003م، ص42.

(16) حافظ؛ صلاح الدين: صراع القوى العظمى حول القرن الإفريقي، الكويت، *سلسلة عالم المعرفة*، العدد(49)، يناير1982م، ص257.

(17) سالم؛ سيد مصطفى: تكوين اليمن الحديث، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط1984م، 29- 32.؛ أباظة: الحكم العثماني، المرجع السابق، ص46 - 52، 70- 85.؛ صابان: المرجع السابق، ص198- 199.

(18) أباظة: نفس المرجع، ص107- 109؛ سالم؛ سيد مصطفى: نفس المرجع، ص32- 38.

(19) أباظة: نفس المرجع، ص346- 351.

(20) شبيب؛ قصي كامل صالح: أهمية مضيق باب المندب في التاريخ الحديث والمعاصر، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث، ط 1994م.؛ أسرار باب المندب، اطلع عليه في مارس 2015م نسخة الكترونية محفوظة لدى الباحث:
https://www.facebook.com/ShbktAkhbarDmt/posts/571599116302682

(21) بولدري؛ جون: العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن إبان الحكم العثماني التركي 1914- 1919م، ترجمة وتقديم: دكتور سيد مصطفى سالم، القاهرة، دار الأمين للنشر والتوزيع، ط1982م ،ص50- 52.

(22) نفس المرجع، ص44.

(23) اندلعت الحرب العالمية الأولى في اليوم الأول من شهر أغسطس 1914م عند إعلان روسيا التعبئة للوقوف إلى جانب الصرب لصد الهجوم النمساوي؛ فأعلنت ألمانيا في 1 أغسطس لصد روسيا وفي 2 أغسطس ضد فرنسا وحذرت بلجيكا من اعتراض قواتها عند عبور بلادها لمهاجمة فرنسا عندها أعلنت بريطانيا دخولها الحرب 4 أغسطس للدفاع عن حيادية بلجيكا. وأصبح قطبا النزاع بين ألمانيا وبريطانيا، وكان السبب المباشرة لاندلاع الحرب العالمية الأولى هي مشكلة البلقان التي نتج عنها اغتيال ولي عهد النمسا على يد طالب بسني في 27 يونيه، وإعلان النمسا الحرب على الصرب في 28 يوليو أنظر (الحميد؛ عبد اللطيف بن محمد: البحر الأحمر والجزيرة العربية في الصراع العثماني البريطاني، الرياض، مكتبة العبيكان، ط1994م، ص80- 83.؛ نوار؛ عبد العزيز سليمان ومحمود محمد جمال الدين: التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى، القاهرة، دار الفكر العربي، ط1999م، ص447- 451.؛ OSCAR, HALECKI : BORDERLANDS OF WESTERN CIVILIZATION- A His tory of East Cen tral Eu rope ,Second Edition, Copyright © by Tadeusz Tchorzewski, 1980, pp:388- 394).

(24) حسن؛ إبراهيم محمد: البحر الأحمر في الحرب العالمية الأولى 1914- 1918م. القاهرة، عين للدراسات والبحوث، ط1998م.(نسخة الكترونية مصورة، محملة من موقع Google محفوظة لدى الباحث)، ص155- 156.

(25) الحميد: المرجع السابق، ص106.

(26) صبان؛ سهيل: المحاولات الألمانية لاستغلال جزر فرسان - في جنوب البحر الأحمر- على ضوء وثائق الأرشيف العثماني: 1318- 1320هـ/ 1900- 1902م، *المجلة الأردنية للتاريخ والآثار*، المجلد4، العدد3، 2010م، نسخة pdf محملة من موقع Google، محفوظة لدى الباحث، ص127- 154.

(27) الحميد: المرجع السابق، ص104. ؛ بولدري: المرجع السابق، ص35- 36.

(28) بولدري: نفس المرجع، ص39- 44.

(29) نفس المرجع، ص38- 39.

(30) العبدلي؛ أحمد فضل بن علي محسن: هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، القاهرة، المطبعة السلفية، ط 1351هـ، ص207.

(31) صبان: المحاولات الألمانية، المرجع السابق، ص127- 154.

(32) يعقوب (جاكوب)؛ هارولدف: ملوك شبه الجزيرة العربية. ترجمة: احمد المضواحي، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، 1983م، ص181- 182.

(33) نفس المصدر، ص201.

(34) حسن: المرجع السابق، ص 156.

(35) الانقلاب الاتحادي عام 1913م: هو قيام ثلاثة من كبار قيادات الدولة العثمانية من جمعية الاتحاد والترقي(طلعت باشا، أنور باشا، جمال باشا) بالانقلاب على حكومة رضا باشا رئيس حزب الاتحاد والترقي، وحكموا البلاد بشكل مستبد حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، طلعت باشا وزير للداخلية ورئيسا للحكومة ورئيسا لحزب الاتحاد والترقي، وأنور باشا وزيرا وقائداً للجيش ورجل الحزب الثاني، وجمال باشا وزير للبحرية وحاكما للشام وقائدا للجيش الرابع.(الخراشي؛ سليمان بن صالح: كيف سقطة الدولة العثمانية، الرياض، دار القاسم للنشر، ط1420هـ/ 1999م، ص54- 56.؛ أوزتونا؛ يلماز: تاريخ الدولة العثمانية، مج2، ترجمة عدنان محمود سليمان، استانبول، منشورات مؤسسة فيصل، شركة الهلال، ط1990م، ص217- 226، 235- 236).

(36) المرجع السابق: ص52- 56.

(37) الشيخ؛ رأفت غنيمي: التاريخ المعاصر للأمة العربية والإسلامية 1412- 1992م، القاهرة، دار الثقافة، ط1992م، ص47 - 48.

(38) المرجع السابق: ص52- 56.

(39) ياغي ؛ إسماعيل احمد: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، 1998، ط2، ص217- 219.

(40) يعقوب (جاكوب): ملوك، المصدر السابق، ص199.

(41) الحميد: المرجع السابق، ص254.

(42) المصدر السابق، ص205.

(43) يعقوب (جاكوب): نفس المصدر والصفحة. ؛ الحميد: المرجع السابق، ص254.، (P.R.O) (F.O):371/2134,Aden Residency, August 1914.

(44) منصب نائب الملك البريطاني في الهند: نائب الملك تسمية بريطانية للموظف الذي يدير دفة الحكم في محافظة أو مستعمرة باسم الملك. يعني مصطلح نائب الملك أنه ينوب عن الملك. كان الحاكم العام البريطاني في الهند نائبًا للملك. وبعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها في عام 1945م، تنامت معارضة الاستعمار في كل أرجاء العالم. ونتيجة لذلك، أصبح مصطلح نائب الملك مصطلحًا مكروهًا وصار استعماله نادرًا في الوقت الحاضر. يُنظر الموسوعة الالكترونية: ency.kacemb.com اطلع عليه في موقع البحث Google في 21/ 2/ 2016م). كان ملك بريطانيا في أثناء الحرب العالمية الأولى هو جورج الخامس(العبدلي: المصدر السابق، ص278)، وهاردنج هو نائب الملك في الهند أو الحاكم العام (بولدري، المرجع السابق، ص47).

(45) بولدري: نفس المرجع، ص 41.

(46) الحميد: المرجع السابق، ص121- 124.

(47) نفس المرجع، ص129.

(48) حسن: البحر الأحمر، المرجع السابق، ص83.

(49) زكريا ؛ محمد: عدن في الحرب العالمية الأولى، *صحيفة 14 أكتوبر* الحكومية، عدن، يونيه 2009م، Word حمل من الموقع الالكتروني Google في 28 سبتمبر 2013م، نسخة محفوظة لدى الباحث.

(50) آشر ؛ مايكل: لورنس ملك العرب غير المتوج، ترجمة: فاطمة نصر، القاهرة، ط2000، ص193.

(51) انطونيوس ؛ جورج: يقظة العرب، ط1978م، ص222. ؛ يُنظر صور فتوى إعلان الجهاد العثماني في ملحق، الحميد: البحر الأحمر، المرجع السابق، ص511- 514.

(52) أباظة: عدن والسياسة البريطانية، المرجع السابق، ص563.

(53) بولدري: العمليات البحرية، المرجع السابق، ص 38- 39.

(54) المخلاف السليماني: هو إقليم جيزان في وقتنا الحاضر الواقع جنوب غرب المملكة العربية السعودية على ساحل البحر الأحمر. حول تاريخ المخلاف السليماني يُنظر: (العقيلي ؛ محمد بن أحمد عيسى : من تاريخ المخلاف السليماني أو الجنوب العربي في التاريخ، 2جـ، الرياض، مطابع الرياض، 1958م).

(55) المرجع السابق، ص 32.

(56) تنجانقيا: هي الإقليم الغربي لجمهورية تنزانيا الموحدة حاليا، وكانت تنجانقيا تعرف بمستعمرة إفريقيا الشرقية الألمانية، وضعت تحت الانتداب البريطاني بعد هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، وفي عام 1964م دخلت مع بعض الأقاليم في وحدة سياسية وكونت جمهورية تنزانيا الحالية وعاصمتها دار السلام.(الجمل ؛ شوقي: تاريخ إفريقيا، المرجع السابق، ص258).

(57) زنجبار: هي مدينة على ساحل شرق إفريقيا، كانت مركزا سياسيا تابعا لسلاطين عُمان لحكم وإدارة ساحل شرق إفريقيا، ونتيجة للتنافس الاستعماري أواخر القرن 19م ألحقت بالتاج البريطاني.(نفس المرجع والصفحة).

(58) حسن: المرجع السابق، ص157.

(59) نفس المرجع، ص160- 161

(60) سالم ؛ سيد مصطفى: تكوين اليمن، المرجع السابق، ص210.

(61) حسن: المرجع السابق، ص49. ؛ Connelly; Mark: The British Campaign in Aden, 1914- 1918, Journal of the Centre for First World War Studies Vol. 1, No. 3, 2005. pages 65-96. p. 67.

(62) الحميد: المرجع السابق، ص57. حسن: نفس المرجع، ص77.

(63) أباظة: البحر الأحمر، المرجع السابق، ص9. ؛ حسن: نفس المرجع، ص 63. ؛ الحميد: نفس المرجع، ص 54- 57.

(64) الحميد: نفس المرجع، ص130- 135. ؛ حسن: نفس المرجع ، ص75.

(65) بولدري: المرجع السابق، ص50 - 52. ؛ الحميد: نفس المرجع، ص286- 287.

(66) كانت الإدارة البريطانية في عدن تتبع حكومة الهند في بومباي، بحيث كانت تتبع حكومة الهند أربع إدارات هي حكومة عدن ممثل بالمقيم السياسي حتى سنة 1937م، والوكيل السياسي في بغداد والبحرية الهندية والوكيل السياسي في الخليج الفارسي. وكان لكل مقيم سياسي في عدن مساعد واحد أو أكثر وعند غياب المقيم السياسي يقوم بعمله أقدم مساعد، وإذا تغيبا المقيم والمساعدين ينوب عنهم قائد الحامية البريطانية في عدن. (أباظة: عدن والسياسة البريطانية، المرجع السابق، ملحق ص668- 670).

(67) بولدري: المرجع السابق ، ص 38- 43.

(68) نفس المرجع، ص43.

(69) الحميد : المرجع السابق، ص259.، بولدري: نفس المرجع، ص40.

(70) بولدري: نفس المرجع، ص42.، الحميد: نفس المرجع، ص261.، (P.R.O) (F.O): 371/ 2478.Form Secrtary of satat for inda, to Vicery Simla 24 th ,October 1914.

(71) العبدلي: هدية الزمن، المصدر السابق، ص208. ؛ يعقوب (جاكوب): ملوك شبه الجزيرة، المصدر السابق، ص206. ؛ بولدري، المرجع السابق، ص48.

(72) بولدري: نفس المرجع، ص48، 78.

(73) ذُباب: -بالضم- ولعله (ذُو- باب). قرية وميناء صغير ومركز مديرية ذباب من محافظة تعز شمال باب المندب بـ36كيلو متر، فيه قلعة محصنة. (المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج1، مرجع سابق، ص642 - 643).

(74) أباظة: عدن والسياسة البريطانية، المرجع السابق، ص562.

(75) بولدري: المرجع السابق، ص122.

(76) الحميد: المرجع السابق، ص260- 261، Form .371/2478 :(F.O)(P.R.O) . Vicery to Secrtary of satat for inda, London, 13 th ,October 1914، بولدري: نفس المرجع، ص43.

(77) بولدري: نفس المرجع، ص122.

(78) نفس المرجع، ص 44.

(79) هدية الزمن، المصدر السابق، ص207.

(80) هدية الزمن، نفس المصدر، ص205.؛ يعقوب (جاكوب): المصدر السابق، ص206.

(81) هدية الزمن، نفس المصدر، ص208.

(82) سالم؛ سيد مصطفى: تكوين اليمن، المرجع السابق، ص207.؛ Connelly: op, cit, p.69

(83) بولدري: العمليات البحرية، المرجع السابق، ص 71- 74.

(84) يعقوب (جاكوب): ملوك شبه الجزيرة، المصدر السابق، ص205، 207.؛ بولدري: نفس المرجع، ص 71.؛ أباظة: الحكم العثماني، المرجع السابق، ص 369.

(85) يعقوب (جاكوب): نفس المصدر، ص205، 207.؛ أباظة: عدن والسياسة البريطانية، المرجع السابق، ص576.

(86) ماكرو: اليمن والغرب، المرجع السابق، ص92.؛ بولدري: المرجع السابق، ص 71.؛ P.R.O) (W.O): 95/5434, Aden Force General Staff War Diary, 3 – 14 November 1914.).

(87) بولدري: نفس المرجع، ص 37.

(88) يعقوب (جاكوب): المصدر السابق، ص 207.؛ بولدري: نفس المرجع، ص 71- 72.؛ ماكرو: المرجع السابق، ص92- 93.

(89) ماكرو: نفس المرجع، ص93.؛ بولدري: نفس المرجع، ص 74.

(90) المنهلي: جبل حصين يقع شرق جبل الشيخ سعيد وأكثر منه ارتفاعا. (المقحفي: معجم البلدان، المرجع السابق، ج1، ص887).

(91) بولدري: المرجع السابق، ص 74.

(92) نفس المرجع، ص 74.

(93) الحربي؛ دلال بنت مخلد: علاقة سلطان لحج ببريطانيا (1918 - 1959م). الرياض، 1997م ، ط1، ص50.

(94) المرجع السابق، ص 74.

(95) ماكرو: المرجع السابق، ص93.

(96) يعقوب (جاكوب): المصدر السابق، ص207.؛ ماكرو: نفس المرجع، ص93.

(97) بولدري: المرجع السابق، ص 75.

(98) سالم؛ سيد مصطفى: تكوين اليمن، المرجع السابق، ص207.؛ بولدري: نفس المرجع، ص75.؛ يعقوب (جاكوب): المصدر السابق، ص207.؛ أيضا ينظر تلغراف رسمي صادر عن الدولة العثمانية، مكتوب باللغة العربية والعثمانية؛ فالمكتوب بالعربي ربما إشارة تفيد بأنه سيتم دعم لواء تعز بفرقة عسكرية فور وصول الجمع. كما تفيد الإشارة أن الإمام أبدى تحرك قوي في حينه. وتشير أيضا ان المقادمة (ربما يقصد رجال القبائل) في طريقهم إلى الجبهة. كما ان الوثيقة فيها كلام غير مفهوم يبدو كلام مشفر. ربما التلغراف مرسل من صنعاء إلى تعز، والتوقيع غير معروف بدايته احمد(لعله احمد توفيق قائد الحامية العثمانية بصنعاء) 29 ذي الحجة 1332هـ في الساعة 8 . يرافق 18/ 11/ 1914م .(وثائق النعمان: مجلد رقم1، لقطة 139- 140)، تُنظر الوثيقة في الملحق رقم (3،4).

(99) يعقوب (جاكوب): المصدر السابق، ص207. ؛ بولدري: المرجع السابق، ص75.

(100) بولدري: نفس المرجع، ص45- 46، 75.؛ العبدلي: هدية الزمن، المصدر السابق، ص207.

(101) الحميد: البحر الأحمر، المرجع السابق، ص 268.؛ بولدري: نفس المرجع، ص 75.

(102) بولدري: نفس المرجع، ص 46- 48.

(103) الحميد: المرجع السابق، ص 261.، بولدري: نفس المرجع، ص 46- 48.

(104) بولدري: نفس المرجع، ص 49- 52..

(105) نفس المرجع، ص 78- 79.

(106) الحميد: المرجع السابق، ص264.

(107) ماكرو: المرجع السابق، ص104- 105.

(108) الصليف: شبه جزيرة من تهامة مقابل جزيرة كمران، مشهورة قديما بإنتاج الملح، وأصبحت اليوم ميناء لتصدير النفط اليمني يُنظر: (الحجري؛ محمد بن احمد: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق: إسماعيل بن علي الاكوع، المجلد الأول، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، وزارة الثقافة، ط2، 1996م، ص483).

(109) بولدري: المرجع السابق، ص 88- 89.

(110) ماكرو: المرجع السابق، ص104- 105.

(111) يختل: منطقة ساحلية تقع شمال ميناء المخا، يصف بعض العامة يختل بأنها حيثما الحب يقتل. 89 هش- تعريف يختل: قرية تقع على شاطئ البحر الأحمر تتبع مديرية المخا من الشمال من محافظة تعز، وتعد إحدى القرى السياحية الجميلة والتاريخية (مديريات التابعة لمحافظة تعز- حسب التقسيم الإداري لعام 1994، المركز الوطني للمعلومات - اليمن، نسخة الكترونية محملة من Google عام 2014م، ص4).

(112) بولدري: المرجع السابق، ص 123.

(113) جزيرة أبو علي: احد أهم الجزر اليمنية تقع شمال شرق جزيرة زقر(الجزر اليمنية: المركز الوطني للمعلومات، صنعاء، اطلع عليه من Google في 4/ 9/ 2015م: /http://www.yemen-nic.info/tourism_site/locations/island

(114) الزُبير: من الجزر اليمنية في البحر الأحمر، تقع في الجنوب الغربي من جزيرة كمران، على خط الطول 42 درجة، وخط العرض 16 درجة. يبلغ ارتفاعها 223 قدما.(المقحفي، المرجع السابق، ج1، ص736).

(115) بولدري: نفس المرجع، ص 68.

(116) شهاب؛ حسن صالح: العبادل سلاطين لحج وعدن. صنعاء، مركز الشرعبي، ط2، 1991م، ص75.؛ Gavin: Aden Under british Rule. 1839-

1967,London, 1975. p.247.؛ أباظة: عدن والسياسة البريطانية، المرجع السابق، ص 632.؛ حسن: البحر الأحمر في الحرب العالمية، المرجع السابق، ص148.

(117) النواحي التسع: هي مناطق الجنوب اليمني التي كانت تخضع للاستعمار البريطاني، وكانت تعرف بالمحميات البريطانية. (الويس؛ حسين بن علي: اليمن الكبرى، جـ1، صنعاء، مكتبة الارشاد، ط2، 1991م، ص30- 36).

(118) شهاب: العبادل، المرجع السابق، ص75.؛ Gavin: Op,cit , p.247.

(119) المسيمير: هي مدينة ومركز إداري حاليا يتبع محافظة لحج، تقع على خط الموصلات الرابط بين تعز وعدن ، وكانت أثناء الاحتلال البريطاني للجنوب عاصمة سلطنة الحواشب إحدى النواحي التسع. (الويس: اليمن الكبرى، المرجع السابق، ص33).

(120) العبدلي: هدية الزمن، المصدر السابق، ص 208- 209.

(121) ماكرو: اليمن والغرب، المرجع السابق، ص100.

(122) حول الجزر اليمنية والفنارات انظر: (شرف: علي حميد: الجزر والفنارات اليمنية في البحر الأحمر، خليج عدن، البحر العربي، (د.م)، ط 2002م .؛ الجزر اليمنية: المركز الوطني للمعلومات، صنعاء، المرجع السابق، اطلع عليه في Google في 4/ 9/ 2015م: http://www.yemen-nic.info/tourism_site/locations/island/

(123) المرجع السابق، ص100.

(124) بولدري: العمليات البحرية، المرجع السابق ، ص 68- 69.

(125) تخلت بريطانيا عن الثلاث الجزر بموجب معاهدة لوزان في 24/7/ 1923م. وبعد ذلك تم الاتفاق على ان تستأنف شركة الفنارات العثمانية مسئوليتها لصيانة الفنارات. ووافقت الدول الموقعة على اتفاق 1899م على توزيع تكاليف الصيانة كالآتي: ألمانيا 9،5%، فرنسا 7%، بريطانيا 61، ايطاليا 6%، اليابان 4%، هولندا 12،5%.(نفس المرجع، ص69).

(126) ملوك شبة الجزيرة: المصدر السابق، ص206- 208

(127) محمود نديم: هو ضابط عثماني عربي سوري الأصل، عمل ضمن القوات في اليمن منذ عام 1906م ومن مهندسي صلح دعان عام 1911م، ثم نائبا لعزت باشا في اليمن ثم كلف بإدارة ولاية اليمن منذ رحيل عزت باشا للمشاركة في حرب طرابلس. استمر في اليمن طوال الحرب العالمية الأولى، وبعد انسحاب الحامية العثمانية عام 1918م فضل العمل في اليمن كمستشار للإمام يحيى في شمال اليمن، وفي عام 1924م عاد إلى سوريا وتوفى هناك. (عبد الكريم؛ ناهد عبد الكريم: محمود نديم باشا الوالي العثماني في اليمن 1906- 1924م، دمشق، *مجلة جامعة دمشق، مج28*، العدد الأول، 2012م، من 293- 336، ص299- 302).

(128) ENGRAMS: RECORDS OF YEMEN, 6/272-NADIM: ARABSTAN,Da,BIROMUR,207

(129) يعقوب (جاكوب): ملوك شبه الجزيرة، المصدر السابق، ص205.؛ ماكرو: المرجع السابق، ص107.؛ شهاب: المرجع السابق، ص74.

(130) ملوك شبه الجزيرة، نفس المصدر، ص205.

(131) شهاب: المرجع السابق، ص75.

(132) المصدر السابق، ص206- 207.

(133) نفس المصدر والصفحات.

(134) بولدري: المرجع السابق، ص78.؛ يعقوب (جاكوب): نفس المصدر، ص206- 208.

(135) صلح دعان 1911م: كان بين الدولة العثمانية والإمام يحيى حميد الدين الذي تزعم قبائل متصرفية (اقليم- سنجق- لواء) صنعاء الزيدي للتمرد والثورة على العثمانيين منذ عام 1904- 1911م، وفي الصلح اضطرت الدولة العثمانية لعقد هدنة لمدة عشر سنوات وللاعتراف به مشرفا دينيا على سكان سنجق صنعاء، مقابل اعتراف الإمام بالحكم العثماني في اليمن. (سالم؛ سيد مصطفى: تكوين اليمن الحديث، المرجع السابق، ص128- 161. ؛ وحول الصلح وبنوده العلنية والسرية يُنظر: الشامي؛ فؤاد عبد الوهاب: العلاقة بين الإدارة العثمانية والإمام يحيى، رسالة دكتوراه مقدمة في جامعة صنعاء 2009م، نسخة Word محفوظة لدى الباحث، ص179- 199)

(136) يعقوب (جاكوب): المصدر السابق، ص206.؛ سالم: تكوين اليمن، نفس المرجع، ص208.؛ شهاب: المرجع السابق، ص75.

(137) ماكرو: المرجع السابق، ص96.

(138) العبدلي: المصدر السابق، ص208.

(139) ملوك شبه الجزيرة: المصدر السابق، ص208- 209.

(140) المصدر السابق، ص 208.

(141) بولدري: المرجع السابق، ص79.

(142) العبدلي: المصدر السابق، ص212.؛ الحربي؛ دلال: علاقة سلطان لحج ببريطانيا، المرجع السابق، ص53.

(143) جمال باشا: كان عضوًا بارزا في جمعية الاتحاد والترقي ووزير للبحرية العثمانية. عند دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى اختير ليقود الحملة العثمانية لتحرير قناة السويس ومصر. فأصبح التكليف رئيساً للحكومة في بلاد الشام وقائداً عاماً للجيش.(انطونيوس: يقظة العرب، المصدر السابق، ص234).

(144) حسن: البحر الأحمر في الحرب العالمية الأولى، المرجع السابق، ص160- 161.

(145) الخور يقصد قناة السويس (الباحث).

(146) هدية الزمن، المصدر السابق، ص212.

(147) بولدري: المرجع السابق، ص53

(148) حسن: المرجع السابق، ص161.

(149) الحميد: البحر الأحمر، المرجع السابق، ص293- 298.

(150) ملوك شبه الجزيرة: المصدر السابق، ص206- 208.؛ بولدري: المرجع السابق، ص78.

(151) بولدري: نفس المرجع ، ص53.

(152) العبدلي: المصدر السابق، ص212.

(153) شهاب: العبادل، المرجع السابق، ص75.؛ Gavin: Op, cit, P.247.

(154) (P.R.O)(F.O): 371/3417.

(155) (P.R.O) (F.O): 371/3417. ؛ الحميد: البحر الاحمر، المرجع السابق، ص299- 300، 542. ؛ يُنظر صورة الاتفاقية بالنص الانجليزي في الملحق رقم .(1) ؛ أيضا للتعليقات على الاتفاقية يُنظر شهاب: العبادل، المرجع السابق، ص75. ؛ بولدري: العمليات البحرية، المرجع السابق، ص34.

(156) الدولة ؛ حمود بن محمد: زورق الحلوى في سيرة قائد الجيش وأمير اللواء، تحقيق: زيد بن علي الوزير، منشورات العصر الحديث، ط1، 1988م، ص63.

(157) بيف ؛ عزيز خودابيرد: الاستعمار البريطاني وتقسيم اليمن، دار التقدم، موسكو،(د.ط)، 1411هـ/ 1990م.، ص56- 57. ؛ الحربي ؛ دلال: علاقة سلطان لحج ببريطانيا، المرجع السابق، ص55.

(158) . (P.R.O) (F.O): 371/4162-E27039 ؛ بولدري: المرجع السابق، ص34. ؛ حسن: البحر الأحمر، المرجع السابق، ص148.

(159) الاكوع ؛ محمد بن علي: حياة عالم وأمير، صنعاء، مكتبة الجيل الجديد، ط1، 1987م، ص239.

(160) نفس المصدر، ص249.

(161) العبدلي: هدية الزمن، المصدر السابق، ص208.

(162) نفس المصدر، ص212.

(163) سالم ؛ سيد مصطفى: وثائق يمنية ... دراسة وثائقية تاريخية، ط2، 1985م، ص285.

(164) بولدري: المرجع السابق، ص79.

(165) الاكوع: المصدر السابق، ص249- 250.

(166) المرجع السابق والصفحة.

(167) سالم ؛ سيد مصطفى: وثائق يمنية، المرجع السابق، ص303، 319.

(168) العبدلي: المصدر السابق، ص212.

(169) بولدري: المرجع السابق، ص83.

(170) وثائق النعمان: المصدر السابق، ملف العهد المتوكلي، تلغراف ربما من احمد توفيق قائد القوات العثمانية بصنعاء، فلم1، ملف1، لقطة: 140.

(171) نفس المصدر ، لقطة: 10.

(172) نفس المصدر، لقطة: 140.

(173) سالم ؛ سيد مصطفى: تكوين اليمن، المرجع السابق، ص200. ؛ أباظة: عدن والسياسة البريطانية، المرجع السابق، ص565. ؛ أباظة ؛ فاروق عثمان: سياسة بريطانيا في عسير أثناء الحرب العالمية الأولى 1914- 1918م، *مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية*، الكويت، 1983م، ص58.

(174) سالم ؛ سيد مصطفى: تكوين اليمن، المرجع السابق، ص200. ؛ أباظة: عدن والسياسة البريطانية، المرجع السابق، ص613.

(175) حسن: المرجع السابق، ص128. ؛ وهبة ؛ حافظ : جزيرة العرب في القرن العشرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط1935م، ص352- 353. ؛ الحميد: البحر الأحمر، المرجع السابق، ص304، 541). ENGRAMS: RECORDS OF YEMEN, 6/272-NADIM: ARABSTAN,Da,BIROMUR,207. ؛ وللاطلاع على صورة المعاهدة باللغة الانجليزية ينظر ملحق رقم (2). ؛ أيضا: المداح ؛ أميرة علي: المخلاف السليماني تحت حكم الإدريسي، رسالة دكتوراه مقدمة في جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1985م ، ص246- 248، 619-620.

(176) حسن: نفس المرجع، ص128. ؛ سالم ؛ سيد مصطفى: تكوين، المرجع السابق، ص222- 223. ؛ أباظة: الحكم العثماني، المرجع السابق، ص372- 373. ؛ أباظة: عدن الساسة البريطانية، المرجع السابق، 579- 580. ؛ بولدري: المرجع السابق، ص33. ؛ سالم ؛ سيد مصطفى: مراحل العلاقات اليمنية السعودية، (1158- 1353هـ)-(1754- 1934م)، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط1، 2003م، ص280- 281.

(177) حسن: نفس المرجع، ص128. ؛ وهبة: المرجع السابق، ص353.

(178) بولدري: المرجع السابق، ص40.

(179) أباظة: عدن والسياسة البريطانية، المرجع السابق، ص613.

(180) صابان: الجزيرة العربية، المرجع السابق، ص 235، 329- 340.

(181) الواسعي: تاريخ اليمن المسمى، المصدر السابق، ص322.

(182) وهبة: المرجع السابق، ص49. ؛ حسن: المرجع السابق، ص69- 70.

(183) سالم ؛ سيد مصطفى: مراحل العلاقات، المرجع السابق، ص276- 278.

(184) ينظر المنشور عند سالم ؛ سيد مصطفى: وثائق يمنية، المرجع السابق، ص279- 282.

(185) يعقوب (جاكوب): ملوك شبه الجزيرة، المرجع السابق، ص205.

(186) وهبة: المرجع السابق، ص49.

(187) سالم ؛ سيد مصطفى: تكوين اليمن، المرجع السابق، ص210.

(188) البرْك: بكسر الباء وسكون الراء، بلده ومرسى للسفن على ساحل البحر الأحمر من منطقة اللمع من تهامة عسير جنوب ميناء قنفدة.(الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، المصدر السابق، ص117).

(189) حبل بفتح الحاء: هو وادي من فروع وادي الشعاب النازل من وادي جبال مستبا وجبال وشحة من بلاد حجة. وهو واقع بين مناطق "عبس" و"ميدي" في تهامة.(المقحفي: معجم البلدان ، المرجع السابق، ج1، ص409).

(190) يعقوب (جاكوب): ملوك شبه الجزيرة العربية، المصدر السابق، ص232.

(191) أباظة: عدن والسياسة البريطانية، المرجع السابق، ص615.

(192) سالم ؛ سيد مصطفى: تكوين اليمن، المرجع السابق، ص210.

(193) الأكوع: حياة عالم، المصدر السابق، ص241- 242.

(194) سالم ؛ سيد مصطفى ؛ وثائق يمنية، المرجع السابق، ص325، 341. ؛ زيارة ؛ محمد بن محمد: نزهة النظر في رجال القرن الثالث عشر، ج1، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، د.ت، ص122.

(195) يعقوب (جاكوب): ملوك، المصدر السابق، ص246.

(196) أباظة: عدن والسياسة البريطانية، المرجع السابق، ص626 - 627.

(197) المصدر السابق، ص217.

(198) ييف: الاستعمار البريطاني وتقسيم اليمن، المرجع السابق، ص58- 60.؛ المداح؛ أميرة علي: المخلاف، المرجع السابق، ص245- 247.

(199) ييف: نفس المرجع، ص58- 60. ؛ (P.R.O) (W.O): 95/5434, Aden Force General Staff War Diary, 13-15 March, 28 April, 16 August 1915.

(200) بولدري: العمليات البحرية، المرجع السابق، ص55- 58.

(201) (P.R.O) (F.O):371/2478. F.214.

(202) حول الأطماع الايطالية، يُنظر وثيقة بريطانية تشرح خطر أطماع ايطاليا بشمال اليمن وما يجب فعله لمنع أي قوة تحل محل العثمانيين.(صفوت: نجدة فتحي: الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية نجد والحجاز 1917م ج3، ط1998م، ص126- 130).

(203) (P.R.O) (F.O): 371/ 2490.؛ بولدري: المرجع السابق، ص61- 64.

(204) جزيرة حُنيش الكبرى: هي إحدى جزر أرخبيل حنيش الواقعة جنوبي البحر الأحمر قبالة شاطئ منتجع منطقة الخوخة اليمنية، وتعد جزيرة حنيش الكبرى أكبر جزر حنيش، تبلغ مساحتها 90كم، وهي طويلة الشكل تمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، واهمية جزر حنيش الاستراتيجي في وقوعها على الممر الدولي للملاحة.(الجزر اليمنية: المركز الوطني للمعلومات، صنعاء، اطلع عليه من Google في 4/ 9/ 2015م: http://www.yemen-nic.info/tourism_site/locations/island/

(205) جزيرة زقَر: بالضم - تقع قبالة ساحل مدينة زبيد وتبعد عن جزر حنيش بـ3كم. (نفس المرجع).

(206) (P.R.O) (F.O): 371/ 2490.؛ بولدري: المرجع السابق، ص64- 65.؛ الحميد: البحر الأحمر، المرجع السابق، ص315- 318.

(207) بولدري: نفس المرجع، ص111.؛ Admirallty (ADM): 137/872 f.219- 224.

(208) يعقوب (جاكوب): المصدر السابق، ص229- 230.

(209) بولدري: المرجع السابق، ص64، 89.

(210) نفس المرجع ، ص100.

(211) يعقوب (جاكوب): المصدر السابق، ص212.؛ سالم؛ سيد مصطفى: تكوين اليمن، المرجع السابق، ص225.؛ الحربي؛ دلال: علاقة سلطنة لحج، المرجع السابق، ص56.

(212) بولدري: المرجع السابق، ص100.

(213) يعقوب (جاكوب): المصدر السابق، ص213.؛ سالم؛ سيد مصطفى: تكوين اليمن، المرجع السابق، ص226.

(214) بولدري: المرجع السابق، ص80.

(215) وثائق النعمان: المصدر السابق، مجلد الالكتروني رقم 1، لقطة 10، 139- 140.؛ تُنظر الوثيقة في الملحق رقم (3، 4).

(216) يعقوب (جاكوب): المصدر السابق، ص217.؛ ماكرو: اليمن والغرب، المرجع السابق، ص94.

(217) بولدري: المرجع السابق، ص80- 81.

(218) ماكرو: المرجع السابق، ص 94.؛ بولدري: نفس المرجع، ص81.

(219) بولدري: نفس المرجع، ص81.

(220) ماكرو: المرجع السابق، ص94.؛ بولدري: نفس المرجع والصفحة.

(221) يعقوب (جاكوب): المصدر السابق، ص217.

(222) بولدري: المرجع السابق، ص82.

(223) ماكرو: المرجع السابق ص94.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: الوثائق:

أ- الوثائق غير المنشورة:

- **وثائق النعمان** المصورة مايكرو فيلم في الجامعة الأمريكية في بيروت، والمحفوظة في مركز الدراسات العربية والإسلامية (R.M.M)-مدينة ايكس-فرنسا.

1.الملف الأول (العهد المتوكلي).

2.المجلد الالكتروني رقم (1)، المصور ديجتل من الصورة المحفوظة مكرو فيلم.

- **وثائق السجلات البريطانية** ((Public Records Offise(P.R.O)

1. وثائق وزارة الخارجية .Foreign Offise(F.O)

2. وثائق القيادة العامة للأسطول البريطاني. Admirallty (ADM)

3. وثائق يوميات الحرب، اركان القوات العامة في عدن. (W.O) Aden Force General Staff War Diary

ب- الوثائق المنشورة بشكل كتب:

- **سالم؛ سيد مصطفى**: وثائق يمنية ... دراسة وثائقية تاريخية، ط2، 1985م.

- **صفوت: نجدة فتحي**: الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية نجد والحجاز 1917م ج3، ط1998م.

ENGRAMS:- RECORDS OF YEMEN, 6/272-NADIM: ARABSTAN,Da,BIROMUR,20

ثانيًا: المراجع باللغة العربية:

- **أباظة؛ فاروق عثمان**: الحكم العثماني في اليمن 1872- 1918م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1986م.

- أباظة ؛ فاروق عثمان: عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر 1839-1918م، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1987م.

- **آشر ؛ مايكل**: لورنس ملك العرب غير المتوج، ترجمة: فاطمة نصر، القاهرة، ط2000.

- **الأكوع ؛ محمد بن علي**: حياة عالم وأمير، صنعاء، مكتبة الجيل الجديد، ط1987م.

- **انطونيوس ؛ جورج**: يقظة العرب، ط1978م.

- **أوزتونا ؛ يلماز**: تاريخ الدولة العثمانية، مج2، ترجمة: عدنان محمود سليمان، استانبول، منشورات مؤسسة فيصل، شركة الهلال، ط1990م.

- **بولدري ؛ جون**: العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن إبان الحكم العثماني التركي 1914- 1919م، ترجمة وتقديم: دكتور سيد مصطفى سالم، القاهرة، دار الأمين للنشر والتوزيع، ط1982م.

- **جرجس ؛ أجيه يونان**: البحر الأحمر ومضايقه بين الحق العربي والصراع العالمي، القاهرة، مكتبة غريب، ط 1978.

- **الجمل ؛ شوقي وعبد الله عبد الرزاق**: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، الرياض، دار الزهراء، ط2002م.

- **الحجري ؛ محمد بن احمد**: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق: إسماعيل بن علي الاكوع، المجلد الأول، صنعاء، دار الحكمة اليمانية، وزارة الثقافة، ط2، 1996م.

- **الحربي ؛ دلال بنت مخلد الحربي**: علاقة سلطان لحج ببريطانيا(1918 - 1959م)، الرياض 1997م، ط1.

- **حسن ؛ إبراهيم محمد**: البحر الأحمر في الحرب العالمية الأولى1914-1918م، القاهرة، عين للدراسات والبحوث، ط1998م.

- **الحميد ؛ عبد اللطيف بن محمد**: البحر الأحمر والجزيرة العربية في الصراع العثماني البريطاني، الرياض، مكتبة العبيكان، ط1994م.

- **الخراشي ؛ سليمان بن صالح**: كيف سقطة الدولة العثمانية، الرياض، دار القاسم للنشر، ط1420هـ/ 1999م.

- **الدولة ؛ حمود بن محمد**: زورق الحلوى في سيرة قائد الجيش وأمير اللواء، تحقيق: زيد بن علي الوزير، منشورات العصر الحديث، ط1، 1988م.

- **زبارة ؛ محمد بن محمد**: نزهة النظر في رجال القرن الثالث عشر، ج1، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، د.ت.

- **سالم ؛ سيد مصطفى**: البحر الأحمر والجزر اليمنية، صنعاء، الميثاق للطباعة، ط2006م.

- سالم ؛ سيد مصطفى: تكوين اليمن الحديث، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط1984م.

- سالم ؛ سيد مصطفى: مراحل العلاقات اليمنية السعودية، (1158-1353هـ)- (1754- 1934م)، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط1، 2003م.

- **شبيب ؛ قصي كامل صالح**: أهمية مضيق باب المندب في التاريخ الحديث والمعاصر، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث، ط1994م.

- **شرف ؛ علي حميد**: الجزر والفنارات اليمنية في البحر الأحمر، خليج عدن، البحر العربي، (د.م)، ط 2002م.

- **شهاب ؛ حسن صالح**: العبادل سلاطين لحج وعدن. صنعاء، مركز الشرعبي، ط2، 1991م.

- **الشيخ ؛ رأفت غنيمي**: التاريخ المعاصر للأمة العربية والإسلامية 1412- 1992م، القاهرة، دار الثقافة، ط1992م.

- **صابان ؛ سهيل**: الجزيرة العربية- بحوث ودراسات من الوثائق العثمانية- ، الرياض، مطبوعات مكتبة الملك فهد، ط2005م.

- **صبري ؛ محمد**: مصر في أفريقيا الشرقية "هرر" و"زيلع" و"بربرة"، القاهرة، مطبعة مصر، ط1939م.

- **صفوت : نجدة فتحي**: الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية نجد والحجاز 1917م ،ج3، ط1998م.

- **طه ؛ جاد**: سياسة بريطانيا في جنوب الجزيرة العربية، دار الفكر العربي، ط2.

- **العبدلي ؛ أحمد فضل بن علي محسن**: في أخبار ملوك لحج وعدن، القاهرة، المطبعة السلفية، ط 1351هـ.

- **العقيلي ؛ محمد بن أحمد عيسى**: من تاريخ المخلاف السليماني أو الجنوب العربي في التاريخ، 2جـ، الرياض، مطابع الرياض، ط1958م.

- **ماكرو ؛ اريك**: اليمن والغرب 1571- 1962م، ترجمه: د. حسين العمري، دمشق، دار الفكر، ط 1987م.

- **المداح ؛ أميرة علي**: المخلاف السليماني تحت حكم الإدريسي، رسالة دكتوراه مقدمة في جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1985م.

- **المقحفي ؛ إبراهيم أحمد**: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج1، صنعاء، دار الكلمة، ط2002م.

- **نوار ؛ عبد العزيز سليمان ومحمود محمد جمال الدين:** التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى، القاهرة، دار الفكر العربي، ط1999م.

- **الواسعي ؛ عبد الواسع بن يحيى:** تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن، صنعاء، مكتبة اليمن الكبرى، ط1991م.

- **وهبة ؛ حافظ:** جزيرة العرب في القرن العشرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط1935م.

- **الويس ؛ حسين بن علي:** اليمن الكبرى، جـ1، صنعاء، مكتبة الارشاد، ط2، 1991م.

- **ياغي ؛ إسماعيل احمد:** الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، 1998، ط2.

- **يعقوب(جاكوب) ؛ هارولدف:** ملوك شبه الجزيرة العربية. ترجمة: احمد المضواحي، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، 1983م.

- **ييف ؛ عزيز خودابيرد:** الاستعمار البريطاني وتقسيم اليمن، دار التقدم، موسكو، (د.ط)، 1411هـ /1990م.

ثالثًا: الرسائل العلمية:

- **الحميري ؛ أمل عبد المعز الحميري:** النشاط الفرنسي في الموانئ والجزر اليمنية (1869 - 1918م)، رسالة دكتوراه مقدمة في قسم التاريخ كلية الآداب، جامعة صنعاء 2013م.

- **الشامي ؛ فؤاد عبد الوهاب علي:** العلاقات بين الإدارة العثمانية والإمام يحيى 1322-1337هـ/ 1904- 1918م، رسالة دكتوراه، مقدمة في جامعة صنعاء، 2009م. نسخة Word محفوظة لدى الباحث.

- **المداح ؛ أميرة علي:** المخلاف السليماني تحت حكم الإدريسي، رسالة دكتوراه مقدمة في جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1985م.

رابعًا: الدوريات:

- **أباظة ؛ فاروق عثمان:** سياسة بريطانيا في عسير أثناء الحرب العالمية الأولى 1914- 1918م، ***مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية***، الكويت، 1983م، ص58.

- **حافظ ؛ صلاح الدين:** صراع القوى العظمى حول القرن الإفريقي، الكويت، ***سلسلة عالم المعرفة***، العدد (49)، يناير1982م.

- **صابان ؛ سهيل:** المحاولات الألمانية لاستغلال جزر فرسان - في جنوب البحر الأحمر- على ضوء وثائق الأرشيف العثماني: 1318-1320هـ/ 1900- 1902م، ***المجلة الأردنية للتاريخ والآثار***، المجلد4، العدد3، 2010م، نسخة pdf محملة من موقع Google، محفوظة لدى الباحث.

- **العاصمي ؛ ثامر عبد الله:** "جزيرة ميون" الأهمية الاستراتيجية للمكان والقيمة الحضارية للزمان، ج4، ***المؤتمر العلمي الأول*** الذي أقامته جامعة تعز ومؤسسة السعيد بعنوان "تعز" (عاصمة اليمن الثقافية) من25-27 مايو2009م.

- **عبد الكريم ؛ ناهد عبد الكريم:** محمود نديم باشا الوالي العثماني في اليمن 1906- 1924م، دمشق، ***مجلة جامعة دمشق***، مج28، العدد الأول، 2012م، ص 293- 336.

- **العتابي: عبد الزهرة شلش:** الجغرافية السياسية لمضيق باب المندب، ***مجلة كلية التربية الاساسية***، الجامعة المستنصرية، ملحق العدد 52، عام 2008م، من ص205 - 234، نسخة الالكترونية pdf محملة من موقع Google محفوظة لدى الباحث.

- **اليمن ودول القرن الأفريقي:** *وكالة الأنباء اليمنية سبأ*: ط 2003م.

خامسًا: المواقع الالكترونية:

- **أباظة ؛ فاروق عثمان:** البحر الأحمر وقناة السويس، نسخة Word محملة من موقع Google اقتبس في 11/ 10/ 2013م، على الرابط: http://www.attarikh-alarabi.ma/Html/adad27partie7.htm

- **أسرار باب المندب،** اطلع عليه في مارس 2015م نسخة الكترونية محفوظة لدى الباحث:

https://www.facebook.com/ShbktAkhbarDmt/posts/571599116302682

- **الجزر اليمنية:** المركز الوطني للمعلومات، صنعاء، اطلع عليه من Google في 4/ 9/ 2015م: http://www.yemen-nic.info/tourism_site/locations/island/

- **الحجار ؛ محمد صبحي:** الصراع على البحر الأحمر: حقبة ما قبل 1980م، اطلع عليه في 10/12/ 2014م، http://www.lebarmy.gov.lb/ar/news/?32243#.VIiKndKsX0Q

- **زكريا ؛ محمد:** عدن في الحرب العالمية الأولى، صحيفة 14 أكتوبر الحكومية، عدن، يونيه 2009م، نسخة Word محمل من الموقع

الالكتروني Google في 28 سبتمبر 2013م بدون رابط ، نسخة محفوظة لدى الباحث.

- **مديريات التابعة لمحافظة تعز**- حسب التقسيم الإداري لعام 1994 ، المركز الوطني للمعلومات- اليمن ، نسخة Wordالكترونية محفوظة لدا الباحث ، محملة من موقع Google. ؛
http://www.taizgov.com/2010-04-26-18-02-36.html
رابط موقع مركز المعلومات لمحافظة تعز مارس 2014م.

- **الموسوعة الالكترونية**: ency.kacemb.com اطلع عليه في موقع البحث Google في 21/ 2/ 2016م.

سادسًا: المراجع الأجنبية:

-**Connelly; Mark***:* The British Campaign in Aden, 1914-1918, ***Journal of the Centre for First World War*** *Studies Vol. 1, No. 3, 2005*. pages 65-96.

- **ENGRAMS**: RECORDS OF YEMEN, 6/272-NADIM: ARABSTAN,Da,BIROMUR,207

-**Gavin R.J**: Aden undr british Rule. 1839- 1967**,** London, 1975.

-**HALECKI** : BORDERLANDS OF WESTERN CIVILIZATION- A His tory of East Cen tral Eu rope ,Second Edition, Copyright © by Tadeusz Tchorzewski, 1980.

-**Harold F. Jacob:** Kings of Arabia, London,1923.

-**OSCAR, HALECKI** : BORDERLANDS OF WESTERN CIVILIZATION- A His tory of East Cen tral Eu rope, Second Edition , Copyright © by Tadeusz Tchorzewski, 1980.

-**Wenner manfred**: Modern Yemen 1918-1966.New York,1967.